المكتبة الإسلامية

أصول الدين الإسلامي

بقلم

محمد جمال الهاشمي

منشورات دار الباقر في النجف الأشرف

المكتبة الإسلامية

١

أصول الدين الإسلامي

محمد جمال الهاشمي

منشورات دار الباقر

الطبعة الأولى
١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م

مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف ـ شارع السراي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ارشدنا بفضله الى نهج الصواب والصلاة على من انزل اليه الكتاب هدى لاولى الالباب وعلى اله الائمة الاطياب

وبعد . فقد كان للرجة الاجتماعية التى احدثها المد الاحمر فضل كبير على التوجيه الاسلامى ، فقد بقى التوجيه منذ مآت السنين يلازم طريقة واحدة لم يؤثر بها التطور التاريخى ولا غيرتها الاحداث الاجتماعية التى مرت على البلاد الاسلامية ، والتى غيرت الاوضاع الاجتماعيه والسياسة والاقتصاديه فيها ، ان التوجيه الاسلامى لم يتأثر بكل مؤثرات الحياة ، فكأنه وجد ليسير على منهج واحد لايقبل التبديل ، واعتقد بان لقوة العقيدة وترسخها فى القلوب المؤمنة يعزى هذا الجمود التوجيهى ، فان المؤمنين اعتادوا ان يسمعوا هذه الاقوال واعتادوا ان تعتريهم حالات الالم واللذة فى عرض الحوادث والوقائع ، او صور الشر والخير ، او ايات العذاب والثواب ، من دون ان يتجهوا الى ماوراء هذه الصور . ويدرسوا المقاصد التى تحملها لهم الاحداث والفلسفة والآيات الكريمة ، انها اعتادت ان تسمع واعتادت ان تتاثر فيها ، بل وربما كانت تتبرم من التغيير لو طور الخطيب او المرشد اسلوبه والقاءه ، فكانما المجالس التى تركها الاول للاخر ايات القرآن الكريم الذى يكون تبديلها تبديلا للنص الالهى الذى

نزل بها الوحى على نبيه العظيم (ص) ومن المستغرب ان الخطيب نفسه والناس انفسهم كانوا يشاهدون ان اثر المقالات المسجله او المحاضرات المرتله لا يتجاوز وقت القائها ، فاذا فرغ منها الخطيب او المرشد ، باخ التاثر وزال الأثر ، ورجع الناس والخطيب الى ما كانوا عليه وكأنه لم يكن شيئاً مذكوراً .

وجاء المد الاحمر يكتسح امامه الجماهير المسلمه ، ويجرف بامواج المظاهرات كل المتاريس والحصون التى اقامتها القيادة الاسلامية لتدرء بها الاخطار التى ربما تهجم على عقول المسلمين وعواطفهم ، وزلزل المد القيادة واخرجها من ابراجها العاجيه التى اكتفت بالنظر منها الى دنيا المسلمين تسيرهم العقيدة الوراثية التى وصلت اليهم من ابائهم الابطال ولتسمع ايام تلك الاباء واحداثها ، ولتهدد بها الاعداء اذا حاولت التجاوز عن حدودها التى وضعها لها التاريخ القديم ، واكتفت القيادة بسكوت العدو وسكونه الذى يتظاهر به ، فهو مازال يحافظ على قداسة المساجد فلا يدخلها ، ويحافظ على كرامة القرآن فلا يمسه ، ويحافظ على الطقوس العقائدية فلا يغيرها ، لابد وان العدو يهابها ويهاب الحقائق المتركزه فى عقيدتها وطقوسها ، والا فما باله لا يتحرك من مكانه . ، وفات القيادة الغافله ان العدو الذى حارب الاسلام منذ اول ظهوره ، وضحى فى ميادين الدفاع عن عقيدته ، وميادين الهجوم على الاسلام ماضحى من الاف الشباب والالاف القرى

والمدن ، وملايين الدنانير، ان العدو لا يغفل عن الاسلام وعن مباديه وشعوبه ، انه يرقبه كما يرقب الصياد فريسته ، وان شراكه لتمتد فى كل البقاع الاسلامية . وانها تمتلأ كل يوم بصيد السمين ، نعم ان القيادة الاسلاميه غفلت او تغافلت عن ذلك ، حتى رأت بام عينيها كيف انهارت متاريسها وحصونها فى اول حملة قام بها عدوها الضعيف ، وكيف راحت الجماهير المسلمـة تلتحق بمظاهرات العدو وتهتف بشعاراته ، وتهدد القيادة وتاريخها وطاقاتها ، وكل معطياتها ، ان القيادة رأت ذالك بام عينها فتحركت وانشاء الله ستكون فى الحركة البركة

ان القيادة تخال بان الرجة الجماهيريه كانت وليدة الحرية السياسة التى أعطتها الحكومة للجماهير لتعبر عن احلامها السياسية ، ان القيادة تخال ان الحرية سببت هذا التهريج الاجتماعى ، بينما لم تكن الحريه السياسية الا محكا اظهرما فى الدخائل من الام وامال . ان هذا التهريج لم يكن الا نتيجة مقدمات هامة هيأتها الاعداء فأنتجت هذه النتيجة المخيفة . ان العدو راى ان الغزو العسكرى لا يثمر الغاية المطلوبه . ان الغاية التى تريدها قيادة العدو هو استلاب الشعوب المسلمة من الاسلام وانتزاعها من المسجد والقرآن . ان هذه النتيجة لا تتحقق بالسيف والبارود . لان الحرب تترك اثارها فى العقول والعواطف فتصبح الشعوب المغلوبة موتورة تطالب ثارها فى كل فرصة مؤاتية كما يترك الضغط والظلم اثره فى كبت العقيدة وحراستها من اسلحة العدو

واجهزته ، ولذلك تركت القيادة المعادية (التاتيك) الحربى واتجهت الى (تاتيك) جديد درسته واختبرته وآمنت بنجاحه ، ثم طبقته فى البلاد الاسلامية ، انها اتجهت الى غزو البلاد الاسلامية ثقافياً ، فحصرت الثقافة بمدارسها ، والتربيه فى مناهجها ، والتوجيه باساتذتها وبمعنى واضح حصرت القيادة الفكرية بنفسها ، وللفكر تستسلم الحواس فاذا اتجه الفكر الى ناحية اتجهت الاحاسيس الى تلك الناحية ، وهكذا استلمت القيادة العامة للشعوب الاسلامية ؛ واصبح جيلنا الحاضر واجيالنا الطالعة تتجه حسب الاسلوب القيادى الذى نظمته الهيئة المشرفة على الشرق وثقافته العامة ؛ ان هذه الهيئة توجه التفكير الاسلامى الى غاياتها المعارضة للاسلام باسلوب منظم ، انها تصعد بالفكر درجة درجة حتى تصل به الى القمة ، ومن القمة ترمى به الى جحيم الشك والالحاد.

واعتقد بان الشباب المثقف اذا درس برنامجه الثقافى دراسة دقيقة والتفت الى هدف القيادة وانها تصعد بفكره درجة درجة . لآمن بما اقول . ولتدارك امره قبل ان تفوت الفرصة عليه ، ان الروايات العاطفية او البوليسية ، والقصص التربوية والاجتماعية ، والكتب النفسية والجنسيه ، والمؤلفات العلميه والفنية التى جعلت العنوان العلمى الفنى وسيلة لاهدافها المدمره ، نعم ان هذه المرجات التثقيفيه التى تمر رقيقة على العواطف . ليست الا تيارات مصطنعه تجرف الجيل لاشعوريا الى النهاية المؤلمة ، وان الأساليب المغرية التى نظمتها

القيادة الواعية لاهدف لها الا ان تصل بالقافلة الاسلامية الى المنزل المنشود من اقصر طريق باقرب مدة ، ولقد نجحت كل النجاح فى بث البلبلة والاضطراب فى الصفوف المسلمة ، وفى دس الشك فى الحقايق الاسلامية ، فالشاب المتخرج من الكليات العلمية او الادبية . لاينظر الى الشريعة الاسلامية الا كما ينظر الى الشرايع البائدة ، كشريعة حمورابى مثلا ، ولا يدرسها الا كما يدرس اثراً من آثار القرون الخالية انه لايقصد من دراسته لها الا ليستطلع التاريخ العقلى فى تلك الفترة من الزمن ، ولا يفكر هذا الشاب فى دراسة نفس المواد وانها تستحق ان يختبرها اختباراً عقليا علميا ، كما يختبر النظريات العلميه او العقليه او الادبية او القانونيه . فيتقبل منها ما يرتضيه ذوقه العلمى ، وينفى عنه مالا يرتضيه ، ان الشاب المثقف لايفكر فى ذلك ابداً وانما كان فكره متجها فى دراسته لها دراسة عابرة يؤدى بها امتحانه ويضمن لنفسه النجاح والشهادة . شأنه فى دراسته لها دراسته لشريعة حمورابى وحضارة اشور . انه يرفع عقله عن الانقياد الى الاسلام واحكامه وتوجيهاته

وجاء المد الاحمر فظهرت نتايج ذلك التوجيه المنظم ، واصبح الوطن المسلم ينتفض بشبابه وفتياته على الاسلام وتعاليمه ، فيحمل الشعارات المحاربة للاسلام ويردد الهتافات المضادة للقرآن يهتف للشيوعية ومبادئها الالحادية ، ويتظاهر بشعارات الجمعيات الكافرة كما كان قبل المد يتظاهر لافراح الاسلام ومآسيه انه ينظم المظاهرة

الجمراء . كما كان ينظم مواكب عزاء الائمه عليهم السلام ، ويحمل الشعارات الكافرة . كما كان يحمل اعلام الحزن فى مواكب العزاء ، ويهتف لمبادىء لينين وماركس . كما كان يهتف لمبادىء علي والحسين ويحتشد فى اوكار النقابات كما كان يحتشد فى مجالس العزاء . ان التنظيم الدينى بمادته وهيئته اصبح تنظيما ماركسيا . ان التنظيم الجديد غير الاطار فقط . اما المادة فهى مادته الاولى التى هيأها له الدين وخططها باسلوبه . ان التنظيم الجديد غير اللوحة فقط وبذلك انقلب السلاح الذى كان الاسلام يهدد به الكفر سلاحا كافراً يهدد الاسلام . . ، ومما يؤسف له ان الجيل الطالع يخال انه هو وحده يتفهم العصر وطاقاته العلمية والعملية غافلا عن ان القيادة التى ملكت زمامه ابعدته عن مخزن الطاقات ومعادنها لئلا يتخذ منها سلاحا يهددها به . ان القيادة تريد منه ان يشتغل بما لا يستفيد هو من عمله وتستفيد هى منه فهولها جيش مجهز بالمقت والكراهيه لدينه ووطنه . جيش يلقاك بكل وصمة مخزيه . ويقابلك بسباب الفت صيغته القيادة . فانت رجعى . من اذناب الاستعمار . خائن . دساس جاسوس . عميل . فاذا طالبته بالدليل على تهمه جابهك بالشتم والتهديد فان حاولت رده وصده رأيت من المتفرجين مايسؤوك وسمعت منهم ما يؤلمك . فالقيادة حفزت المجتمع الساذج ضدك بتخدير احساسه الدينى فهولا يشاركك فى الامك واحلامك . انه يريد ان يعيش فى راحة من المزعجات ولو عاش فى الجحيم فكيف يرضى

بموقفك الذي يخلق له المشاكل والقلاقل ؛ فلذلك يهاجمك بما يخال له انه يخدمك ويخدم امته ووطنه ، واني اعتقد بان موقف المحايدين اضر على الاسلام من موقف المهاجمين ، ان المهاجمين قلة يمكن ردها بهجوم تكسح بها قواها العناصر المؤمنة ، اما هؤلاء المحايدون فهم المجتمع الحاشد ، انهم الشعب والسوق والشارع ، ان هؤلاء المحايدين هم الذين يفتون فى عضد المجاهدين ويرهفون اسلحة الملحدين ، وفى عقيدتى ان هؤلاء احوج الى التوجيه من اولئك ، وان موقفهم المؤلم هو الذى اثار فى نفسى شعور الجهاد ودفعنى الى ميادينه الخطرة ، وهو الذى جعلنى اوجه طاقاتى واسلحتى الى العدو الداخلى ، لانى ومن معى لا نشكل الا قلة ضئيلة لا تستند الى قيادة منظمة ولا تحمل من السلاح الا الايمان بصحة معتقدها ، انها تواجه عدواً مجهزاً بمختلف الاسلحة ومستنداً الى قيادة منظمة توجهها اقوى المعسكرات والمنظمات ، ولكنى اؤمن بان كثرتهم وقلتنا لا يسوغ لنا السكوت على هذا الوضع المؤسف ، ولذلك تقدمت الى الميدان بسلاح كل تأثيره انه يحرك العاطفه ويثير الفطره ، وقد استفدت منه اكثر مما كنت اترقبه الامر الذى جعل قيادة العدو تغير تاكتيكها النضالى وانى اسأل الله ان يعصمنى منها وان يجعل النصر حليفنا الى نهاية المعركة .

وهذا الميدان الجديد شقته لى طائفة من اساتذة المدارس الحديثة ، فقد طلبت منى ان القى عليها دروساً فى اصول الدين الاسلامى باسلوب

مبسط يستند على الادلة العلمية العقلية ، وبعبارة اخرى القى عليها محاضرات فى علم الكلام ببيان واضح واسلوب مفهوم ، وقد استجبت لهم بالرغم من كثرة اشغالى واضطراب حالى وبالى ، وشوقنى على الاستمرار ما شاهدت منهم من التلهف والتشوق الى اقوالى وانى اسال الله ان يمدنى بتسديده ويمدهم بهدايته ويمدالمحيط بالوعى الصحيح انه سميع الدعاء .

النجف الاشرف ١٣٨٢هـ محمد جمال الهاشمى

٢٤ محرم الحرام

التوحيد

الله

حدثتني امي :

باني حينما كنت ابن ثلاث سنين رفعت رأسي الى فوق ، فاذا بي اشاهد السماء الزرقاء . وقد رصعتها النجوم المتلألئة . ولاح بينها القمر يختال بموكبه الساحر ، فكان المشهد مثيراً . بحيث اني انذهلت عن نفسي ، والتفت لاارادياً الى امي سائلا منها :

انا : ما هذه القبة الزرقاء ؟

هي : هذه هي السماء

انا : وما هذه الشموع المتلألئة فيها ؟

هي : هذه هي النجوم

انا : وهذا المشعل الوضاء ؟

هي : هو القمر الزاهر

انا : من الذي صنع السماء ورفعها ؟

هي : هو الله

انا : والذي اوقد هذه الشموع الرائعة ؟

هي : هو الله

انا : والذي اضاء هذا القمر الساحر ؟

هي : هو الله

انا : من يكون هذا الله ؟ !
هى : هو الذى خلق السماوات والارض وما فيهما
انا : ومن الذى صنع الله ؟
هى : لم يصنع الله احد
انا : كيف يمكن ان يكون فى الوجود شىء غير مصنوع ؟ !
هى : ذلك هو الله
انا : وكيف كان ذلك ؟
هى : ذلك ما ستعرفه عند ما تكبر

وبقى اثر هذا الحوار فى نفسى وان أنسانيه الزمان ، ولكن الصورة اللاهبة التى تخلفت ذلك اليوم فى نفسى لازالت تلذعنى بين مدة ومدة . ، والان وبعد ما مررت على تجارب علميـة عمليـه ، وصهرتنى المدارس الفكرية .

لايزال ذلك السؤال يتردد فى نفسى
من يكون هذا الله الذى صنع كل شي ولم يصنعه شي ؟

واليوم يمكننى ان اجيب نفسى بمـا اقتنعت به نفسى . ، فاقول ان الله لا بد وان يكون لهذات تخالف ذوات الكائنات ، لان الكائنات تتكون من مادة تتكون بدورها من ذرات تتألف هذه من شحنات او طاقات ، حكم العلم بانها لا يمكن ان تكون ازلية ابدية ، بل هى مستحدثة فى وجودها . وستنتهى بعد حين ، انها لم تكن . ثم لا تكـون ، ان الـكائن الذى

اوجدها لا يمكن ان يكون منها ؛ لانه لو كان منها لاحتاج مثلها الى موجد ، لانه يساويها فى الذات المحتاجة الى التكوين ، ولاجل هـــذه الخاصة . نحكم بانه لا يمكن ان يكون هذا الموجد الموجود ماديا كثيفا ، لانه لو كان كذلك لالتحق بالماديات ولاحتاج مثلها الى موجد ، وبما انه هو الموجد للموجودات . لذلك لا بدوان يكون من عنصر غير مادى عنصر لطيف ينفذ فى كل شيء يتقوم به ، وان يكون خبيراً بالكائنات وموادها . وتجزئتها وتركيبها ، خبيراً بالنتائج المترتبة على التجزئة والتركيب ، خبيراً بخواص عناصرها . وما ينشأ من امتزاجها . ، كما يلزم وان يكون عالما لا تتناهى حدود علمه لو اردنا قياسه بالمقاييس الماديه او الفكرية ، لانه صانع الفكر وخالق المادة ، ان المادة تنتهى اليه . والفكر يقف فى حدوده ، وهو هو لا يزال يمتد ويمتد الى مالانهاية ، نعم يلزم ان يكون عالما بالموجودات واسرارها وشؤونها الكيمياويه والفيزائية ، وان يكون بصيراً نافذ البصر فى كل شيء لا تخفى عليه الابعاد ومقاييسها ، وما يترتب على مقادير تلك الابعاد من الاستقرار والتذبذب ، والجذب والدفع وغير ذلك من الاصول الهندسية ، وان يكون متصفـــاً بكل الصفات التى يتصف بها من كان مثله مصدراً لكل شيء فى كل شيء ، فالكائن الموجود لطيف ينفذ فى كل شيء . خبير بكل شيء بصير بكل شيء ، ولا يمكن لحواسنا ان تدركه ، لانهـا لا تدرك الا المـادة ومـا يتكون منها ، فهو لا يرى بالتلسكوبات المقربة او المكبره ، ولا يدرك

بالمعامل وانابيب الاختبار نعم ؛ ندركه بجهاز استودعه هو بقدرته فينا جهاز يخزن طاقات غير مادية ، طاقات يجهل العلم وطاقاته مادتها وحقيقتها ، كالعقل والبصيره ، وحسبنا ان نتحرر من المادة واغلالها المرهقة لنردد مع قيثارة الازل مع القرآن الكريم .

: ان فى خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الابصار ،

انا لو نظرنا الى المجموعة الشمسية التى نعيش فيها ؛ وتدبرنا نظامها الرايع وقوانينها الجباره ، وسننها الثابتة التى لو تغير شيء منها لانهارت الكائنات كلها ، ثم سائلنا انفسنا عن الذى سن هذه الاجهزة المسحورة وشرع هذه القوانين الساحره ، واودعها فى كل ذرة من ذرات الكون . . . ، او تحدثنا مع عقولنا عن النظـام والتوافق والانسجـام فى الكائنات . وعن الذى صممها فأبدع فى تصميمها . وقدرها فاحسن فى تقديرها . ودبرها فأدهش في تدبيرها ، ثم سائلنا مداركـنا عن سر وجودها ، وهل يمكن ان توجد من نفسها من دون ان يكون لهـا موجد قهار لرأينا عقولنا تهزء منا وتنصرف وهى خاشعة الى القران الكريم لتردد معه :

اوجدها السميع البصير . اوجدها اللطيف الخبير

البرهان العقلى على وجود الله

والان وبعد ماشاهدنا بوجد اننا الخالق المبدع . يلزمنا ان نشاهده بعقولنا ليتم لنا الوعى العقلى . كما تم لنا الوعى الوجدانى .

ان الفلاسفة الالهيين قسمت الاشياء الى مفاهيم ثلاثة . . . .

١ ـ واجب ـ وهو الذى تتقوم ذاته بالوجـود ، بحيث ان ذاته تنتفى بانتفاء الوجود ، فكما ان ذاتنا تتقوم بالانسانية ، فلا يتوجد فى العالم انسان من دون انسانية ، لان الانسان يتقوم بالانسانية ، فبانتفائها ينتفى الانسان نفسه ايضاً . ، كـذلك لايمكن ان يكون فى العوالم واجب بلا وجود ، فنسبةالوجود الى الواجب كنسبة الانسانية الى الانسان، فكما كانت الانسانية مقومةللانسان كذلك كان الوجود مقوما للواجب .

٢ ـ ممكن ـ وهو الذى يتساوى بالنسبة الى طبيعته الوجود والعدم بمعنى ان الممكن له استعداد تقبل الوجود والعدم معا ، فهو يتقبـــل الوجود كما يتقبل العـدم . ، ان الممكـن ليس الاصرف القابليـــة والاستعداد لاحد الحقيـقتين.

٣ ـ ممتنع ـ وهو الذى يتقوم بالاستحاله ، بحيث ان ذاته تنتفى بـانتفاء الأستحاله

مثاله . الثلاثة زوج ، فان امتناع الزوجية للثلاثة متقوم باستحالة

ذلك عقلا وخارجا فاذا انتفت عنها الاستحالة امتنع عنها ايضا ، ان الممتنع ضد الواجب ، فالوجود يقوم الواجب والاستحاله تقوم الممتنع

وانما قسمنا الأشياء الى هذه المفاهيم الثلاثة . . . ، لاننا بعد ماوعينا : بان طبيعة الله تخالف طبيعة الكائنات . لزمنا ان نتفهم طبايع الاشياء ، لندرج الله فى حقيقة مستقلة تخالف حقايق الكائنات ، وبما ان الكائنات كلها فى حقايقها ليست الا صرف القابلية للوجود ، لانها تتكون من مادة مستحدثة ، وانها ستتلاشى وتزول بعد وجودها ، فالوجود امر طارئ عليها ، اما نفسها فليست الا مواد لها قابلية الوجود ، لانها تتوجد لو توجهت اليها علة الايجاد ، وقد ظهرت هذه القابلية فى تقبلها الوجود ، كما ان لها قابلية العدم ، لانها تتلاشى تدريجا . وستنتهى بعد حين كما يقرر ذالك العلم ، فهى بنفسها غير موجودة ، وانما وجدت بوسيلة غيرها ، ان الغير الذى اوجدها لابد وان يكون غيرهــا فى الطبيعة والحقيقة ، لان الغيرية انما تتصور فى الموجودية ، بمعنى ان موجودية الكائنات غير موجودية الموجد للكائنات ، ولما كانت الكائنات مستحدثة الوجود وكان الوجود امرآ طارئا عليها ، كانت لاشك فى ذاتها غير الوجود ، لانها كانت ولم يكن الوجود ، فلم يكن الوجود مقوما لذاتها ، لانها لو كانت تتقوم بالوجود لما تخلفت عنه . ، ولا شك بانها تخلفت عنه ، لانها لم تكن موجودة ثم وجدت ، فبتخلفها عنه ثبت ان الوجود غيرها ، نعم كانت لها قابلية تقبل الوجود ، وهذه القـابليــة هى التى

تميزها عن الممتنع الذى يفقد هذه القابلية ، اذ لو كانت له قابليـــة الوجود لتقبل الوجود كما تقبلته الممكنات ، وبما انه لم يتوجد ابداً ؛ بينما كانت الممكـنات يتو الى اوجادها ، حكمنا بان الممتنع يفقد قابلية الوجود . ، اما الموجد لها فلا بد وان يكون غيرها فى الطبيعه والحقيقة ، لانه لو كان من طبيعتها وحقيقتها لاحتاج مثلها الى موجـد ، لانه حسب الفرضية كان منها فى ذاته وطبيعته ، فكما احتاجت هى الى الموجد احتاج هو الى الموجد ايضا . ، وبما انه كان هو بنفسه الموجد لها لزم ان يكون فى طبيعته مغايراً لها فى طبيعتها ، وان تكون حقيقته غير حقيقتها ، ولا يمكن ان ينتمى الموجد الى الممتنع ، لانه فى طبيعته اخس من الممكن فى طبيعته ، لان الممكن يملك استعداد الاوجاد ، والممتنع يفقـد هـذا الاستعداد ، فهو أحط درجة منه ، وكيف يمكن للممتنع ان يوجد وهو الذى يفقد مادة الوجود فى ذاته وطبيعته ، وفاقد الشيء لا يعطـى فالممتنع لا يمكن ان يكون هو الموجد ، وبما ان الاشيـاء والمفـاهيم حسب تقسيمنا تنحصر فى هذه العناوين الثلاثة ، وقد اثبتنا ان الممتنع يمتنع ان يكون هو الموجد الممكنات ، انحصر الموجد بالواجب فقط . لان الاشياء لاتخرج عن هذه العناوين الثلاثة ، فلما امتنع ان يكون الموجد من فصيلة الممكن والممتنع ، انحصر ان يكون الموجد هو الواجب فقط . . . ، ولذلك نقرر ان خالق الاشياء كلها هو واجب الوجود الممتاز فى طبيعتة عن الكائنات الموجودة التى خلقها بقدرتة .

والان . . . وبعد ماشخصنا الكائن الموجد ، وانه هو الواجب فى وجوده فلا اخال باننا نحتاج الى سرد براهين تثبت وجوده ، لان وجوده حسب الدراسة التى اتبعناها اصبح محسوساً للعقل كما اصبح محسوسا الوجدان . . ، وبذلك تتعطل اوهام الماديين الذين يقولون :

(ليس وراء المحسوس شيء موجود . . . ؛ ان الموجود منحصر بالمحسوس) .

لاننا نسائلهم عن هذا الحس . وعن ماهيته ؟ ؟ :

ماهو هذا الحس الذى يدرك ؟ :

هل هو نفس آلات الاحساس باجهزتها الخاصة ، فالحس لليد اللامسة . ؛ وللعين المبصرة ، وللاذن السامعة ، وللانف الشام ، وللفم الذائق ؟ ؟

او ان الذى يبعث الاحساس فى هذه الالات شيء اخر غيرها ؟ ! انه طاقة حاسة ؛ والاعضاء الآتها التى ينبعث فيها اثر الاحساس ، انه كالطاقة الكهربائية التى تبعث التأثير فى الاسلاك والنور فى (اللمبات) . . ان الاسلاك واللمبات بنفسهما لا اثر لهما فى الهزة والانارة ، ان الهزة والانارة تنبث من الطاقة المختزنة فى جهازها الخاص والمنبعثة منه الى الاسلاك واللمبات . . ، وهكذا الاحساس طاقة منبعثة عن جهازها الخاص ومتسربة الى هذه الاعضاء بوسيلة المسارب الخاصة بالاعضاء ، والا فان الاعضاء بنفسها لااثر لها في

الاحساس ؛ وعلى هذا الضوء يصبح الاحساس نفسه شيئاً غير محسوس كما ان حكمهم بان غير المحسوس غير موجود قضية غير محسوسة ، والذى يصدر هذا الحكم ايضا شيء غير محسوس ؛ ان الحاكم بذلك هو العقل . . ، والعقل طاقة غير محسوسة ، فالحكم بان غير المحسوس غير موجود موضوع غير محسوس وغير المحسوس على هذه الفرضية غير موجود فالفرضية غير موجوده

ان هذه الاوهام التى يجترها السوفسطائيون الذين قضى على منطقهم العقل والوجدان لاتستحق الدرس اتستحق الرد . ، ان موضوع وجود الكائن الموجد امر بديهى للعقل والوجدان ، بعد ما حكمت الضرورة بضرورة وجوده ، ولذلك نترك فرضياتهم وتطورها فى التصوير ؛ لان الصور المتأخرة ليست الا اجتراراً للصور المتقدمة ان كلها تعرض معنى واحداً تفنن فى رسمه ذوو العاهات فى العقل والوجدان ، ولذلك نتركها لنرجع الى موضوعنا ودراستنا .

خصائص واجب الوجود

ان الواجب بسيط فى وجوده الخارجى ، وبسيط فى وجوده الذهنى بمعنى انه بسيط فى خارجه ، وبسيط فى حقيقته ، لان وجوب الوجود لايجتمع مع التركيب

سببه : ان المركب يتأخر وجوده عن وجود أجزائه ، فأجزاؤه تتقدمه فى الوجود ، كما تتقدم أجزاء الكرسى وهى الاخشاب والمسامير فى وجودها على الكرسى ، وعلى هذه الفرضية تكون اجزاء واجب الوجود مقدمة فى وجودها على الواجب نفسه ، لان وجود المركب متأخر فى وجوده عن وجود أجزائه وقد فرضنا تركب الواجب ، وهنا نسائل انفسنا : عن وجود الأجزاء التى تتقدم وجود المركب . ونقول : ان وجود الاجزاء المتقدم على وجود المركب . هل هو عين وجود المركب ، أو ان وجود الاجزاء غير وجود المركب . . ؟ فان كان وجود الواجب بعد تركيبه غير وجوده قبل تركيبه ، لانه حسب الفرضية كان له وجودان وجود سابق ، وهو وجوده أجزاء ، ووجود لاحق ، وهو وجوده مركبا ، ولذلك نتسائل : بان وجوده السابق ان كان غير وجوده اللاحق لزم ان يكون للموجود الواحد وجودان ، وجود وهو أجزاء ووجود وهو مركب ، ولا يمكن ان يكون للموجود الواحد وجودان .

و ان كان وجوده التركيبي عين وجوده و هو أجزاء منفصلة لزم ان يتقدم الشيء نفسه في الوجود، لان الواجب لم يتوجد الا بعد تركيبه بينما كان موجوداً حينما كانت أجزاؤه موجودة، اي كان موجوداً قبل أن يكون موجوداً و من المستحيل أن يتقدم الشي نفسه في الوجود ، فالكرسي لا يتوجد كرسياً قبل ان يركبه النجار و يجعله كرسيا ، وهكذا الكائن الواجب الذي تصورناه مركبا لا يمكن ان يتوجد الا بعد تركيبه ، بينما فرضنا وجوده مركبا عين وجوده اجزاء ، بمعنى انه كان موجوداً قبل ان يكون موجوداً . . ، وذلك هـــو معنى تقدم الشيء نفسه في الوجود الذي لاتحتاج استحالته الى توضيح

بل يمكننا ان نقول : بان الكائن الواجب يستحيل تكثره ، لانه وحدة غير قابلة للتكثر ، لان ذاته متقومة بالوجود ، والوجود لا يتقبل التكثر ، لانه اذا تقبل التكثر كان التكثر لازما ذاتيا الوجود ، لان معنى قبوله التكثر ، ان التكثر من لوازم ذاته ، ولازم ذلك ان لا يوجد وجود في الموجودات الا وهو متكثر ، لان التكثر حسب هذه الفرضية يكون للوجود كالنمو للنبات ، فكما لا يوجد نبات الا وهو نام ، كذلك ينبغي ان لا يوجد وجود الا وهو متكثر ، فالوحدة حسب هذه الفرضيـــه معدومة من الوجود الذي صــــار التكثر لازم ذاته ، واذا انعدمت الوحدة من الموجودات انعدم التكثر منها ايضا ، لان التكثر ليس الا تجمع الوحدات ، فالوحدة مادة الكثرة ، فاذا انعدمت الوحدة انعدمت

الكثرة أيضاً ، لانها تتقوم بالوحدة ، فاذا انعدمت مادتها المقومة لها تنعدم هى طبعاً ، ومعنى ذلك انعدام الوجود ، لانه اما ان يتوجد فى الوحدة او يتوجد فى الكثرة ، وعلى مافرضناه ينعدم بانعدام الوحدة التى يسبب انعدامها انعدام الكثرة ايضا ، وبما انه لاينعدم الوجود قلنا : ان الكائن الموجد الذى تتقوم ذاته بالوجود بسيط فى وجوده لاتركب فيه ، احد فى رقمه لايتصور فيه الكثرة ابداً

ومن هنا تنبثق لنا حقيقة ثالثة ، وهى : امتناع وجود الهين فى العالم ، وذلك لان الالهين يلزم ان يتحدا فى الذات والصفات ، لان كلا منهما حسب فرضية الالوهة . واجب الوجود ، وواجب الوجود له ذات خاصة وصفات يمتاز بها ، فهما متحدان فى الذات والصفات ، واذا فرضنا اتحادهما فى الذات والصفات كلها . انعدم التعددمنهما ، فهما موجود واحد لاموجودان لان هذا الاله ذاك الاله فى ذاته وفى جميع صفاته ، واذا تصورنا انهما موجودان ، اى تصورنا ان لكل منهما تعيناً فى الوجود ، فـــلا بد وان يكون هذا التعين من اختلافهما فى الصفات المميزة بينهما ، فيكون احدهما مثلا اقوى من الاخر . او اعلم او اغنى منه بمعنى ان تخلو صفات احدهما من مراحل الاخر ومناطقه فى الوجود ، واذا فقدالاله موجوديته فى مرحلةاو منطقةمن الوجود . فقدمعها الوهتيه ، لان الالوهيةمعناها وجوب وجوده . الذىهو شموله فى وجوده جميع المراحل والمناطق . بحيث تنتهى آماد الموجودات ويبقى هو ممتدأفىوجودهالىمالانهاية ، فاذا فرضناه مجرداً من الوجود فى

مناطق كـــان فيها الثانى متلبساً بالوجود فيها ، لان الثانى حسب الفرضية اعلم او اقوى او او اغنى منه ، كان معناه انسلاخ حقيقته من الوجوب فى الوجود . وانتمائه الى فضيلة الممكنات ، ويكون انسلاخه منه مساويا لانسلاخه من الالوهية ، لان الاله على ماقررناه . هو ماكان واجبا فى وجوده ، وواجب الوجود لا تتناهى صفاته ، اى لا يتناهى وجوده ، فالتناهى يخالف الالوهية ، فيكون الاله المتناهى فى صفاته الها مزيفا لاحقيقة له . ، وتختص الالوهية بالثانى الذى لا تتناهى صفاته الوجودية

واذا فرضناهما متساويين فى الذات والصفات معا ، ولكن كانا اثنين هذا اله له ذات الاله وصفاته ، وذاك اله له ذات الاله وصفاته ، وفرضهما بهذه المثابه ليس من المستحيلات فهما الهان اثنان ، وهنا نرد على هذا الفرض بان كل اله لابد وان يكون متعينا ومتشخصا فى نفسه . فهذا اله له تعينه وتشخصه له دنيا مستقلة . وذاك اله له تعينه وتشخصه له دنيا مستقلة ، فلا تصرف لهذا الاله فى تعينات ذاك الاله ، ولا تصرف لذاك الاله فى تعينات هذا الاله فوجود هذا الاله لا يشمل وجود ذاك ، ووجود ذاك لا يشمل وجود هذا بالطبع فى تعينهما وتشخصهما . وكونهمـا كذلك ينافى وجوب وجودهما . لان معنى وجوب الوجود كما قررنا مراراً ان يعم وجوده كل الموجودات ، بينما هذا لا يعم وجوده تعين ذاك الموجود حقيقة وذاك لا يعم تعين هذا الموجود حقيقة . وذلك ما يتنافى وجووب الوجود

حقيقة الاله

هل يمكننا معرفة الله معرفة كاملة ؛ بحيث نحدد حقيقته فى معرف يشخصه و يميزه عن سواه كما نعرف الانسان : بانه حيوان ناطق فنميزه بالناطق عن الحيوانات ، وندرجه بقولنا حيوان فى زمرة فصائله ، فنشخصه بماهو يشترك فيه مع غيره ، و بما يتميز به عن غيره .

اعتقد باننا لو تدبرنا الموضوع ودرسناه دراسة عقلية دقيقة . لرأيناه فوق مجال الادراك . . ، وذلك لان الله لما كان فى وجوده وفى حقيقته غيرنا فى وجودنا وفي حقيقتنا ، انه فى وجوده الخارجى غيرنا . ، لان كل موجود سواه ، لابد وان يكون مركبا من مادة وصورة ، لان المادة هى التى تتكون منها الاشياء ، ان كل شيء له مادة يتكون منها ، كما ان له صورة يظهر فيها ، فمثلا . الكرسى له مادة . وهى الخشب الذى يتكون منه ، وله صورة يظهر فيها . وهى صورة الكرسى ؛ وكالكرسى ساير الاشياء لها مادة وانها صورة ، ونستخرج الحقايق العقلية من الوجودات الخارجية ـ الماهية ـ حسب الاصطلاح الفلسفى وذلك . لاننا نرى الوجود خارجا ونتفهم خصائصه ولوازمه فنتفهم ان فيه شيئاً يشترك به مع غيره من الاشياء (نتفهم ذلك بتفهمنا لوازم ذلك الشيء) ثم نتفهم ايضا ان فيه شيئا يختص به وحده . . ،

فمثلا نتفهم الانسان بدراستنا لساير افراد الانسان على اختلاف اوضاعه والوانه واصنافه واقسامه ، فندرس الرجل والمرأة في دراستنا لزينب ومحمد ، واسلمى وعدنان ، وهكذا ندرس افراداً من الرجال وأفراداً من النساء ، فتنتج دراستنا ان في طبيعة الرجل والمرأة خاصة يشترك فيها النوع الانساني مع غيره من انواع الحيوانات ، فالانسان يجوع ويعطش . ويميل للجنس الاخر ويصح ويمرض ويموت ، وان تكوينه يكون من نطفة تتطور في رحم الانثى حتى يخرج طفلا صغيراً ينمو تدريجا فيكون شابا يافعا يزداد شبابه ويفاعته الى درجة من العمر . ثم يأخذ في دور الانحطاط فيكون كهلا ثم شيخا . ثم يموت . ؛ ان هذه التطورات الفلسجية ، وتلك الحالات الطبيعية تعترى غير الانسان من الحيوانات ذوات الثدى ايضا ، فذوات الثدى تتشابه والانسان في هذه الظاهرة الفسلوجيه ، فالانسان له جهة تجمعه بالحيوانات . ، ان هذه الجهة الجامعة يسميها المناطقه بالجنس ؛ فالجنس هي الجهة التي تجمع النوع مع غيره من الانواع . . ، وله ايضا جهة تميزه عن غيره . ان الانسان يدرك الامور الكلية . ويتمكن من تطبيق المواضيع الخارجية عليها حسب القواعد الكلية التي استخرجها عقله ، فمثلا يدرك ان العله اذا اجتمعت شرايطها ومعداتها انبثق منها المعلول فاذا عرف ان الاناره مثلا سببه وجود الطاقة الكهربائية في الاسلاك وعرف ايضا ان السلك الكهربائي متصل بالزجاجة كما هو متصل بالجهاز

المتصل بالمخزن الكهربائي · فاذا حرك الالة التي توجب اتصال السلك المتصل بالزجاجة · بالسلك المتصل بالمخزن · انبثق النور . ان الانسان يعرف ذلك ، لانه يعرف ان علة انارة الزجاجة هو اتصال سلكها بسلك المخزن ، وبتحريك الالة يتصل السلكان ، فاذا اوصل السلكين بتحريك الالة الموصلة يقطع بائتلاق الزجاجة ، ان هذا الادراك هو الذي يميز الانسان عن فصائل الحيوانات ، وتسمى المناطقة هذه الحاسة المخصوصة بالانسان . بالفصل ، لانها تفصل الانسان وتميزه عن غيره من الحيوانات ، ان الانسان انما يدرك الفصل بدراسته لافراد الانسان . ، كما ادراك الجنس قبله بدراسته للافراد نفسها ، فلكي يدرك الانسان الجنس والفصل يجب ان يكون للنوع افراد . يدرسها خارجية الانسان . ليدرك الجامع بينها وبين غيرها كما يدرك المايز بينها وبين غيرها ، اما اذا لم يكن للشيء وجود خارجي .. ، اما لعدم تكونه من المادة والصورة لان الموضوع الذي لا تكون له مادة ولا صورة لا يكون له وجود خارجي محسوس ، واذا لم يكن له وجود خارجي محسوس ، لا يتحدد بالمقاييس المادية ، لانها تحدد المواد الخارجية فقط · ، وبما ان الحقيقه العقلية تنتزع من الموجودات الخارجيه ، فاذا انعدم من الموضوع وجوده الخارجي . انعدمت حقيقته العقليه ايضا · · · ، وكما ينعدم من الموضوع وجوده الخارجي اذا انعدمت مادته وصورته · كذلك ينعدم وجوده الخارجي بانعدام آثاره المحسوسة ، لان الوجود

الخارجي كما يتشخص بالمادة والصورة كذلك يتشخص باثاره المحسوسة خارجا . وان لم يكن له وجود خارجي مشخص . ، لان الموضوع اما ان يدرك من وجوده المحسوس ، او يدرك من آثاره المحسوسة ، والاثار التى تضبط حقيقة الموضوع ضبطا تاماً ، هى التى تنظبط كلها ، بحيث لايفوت الادراك شى منها ، انها تنظبط بامادها وحدودها لو ادركت تلك الحدود والاماد ، اما اذا لم تنظبط الخواص والاثار كلها . او ضبطت ولم تضبط الحدود كلها ، بل وصل الادراك الى طرف من تلك الاماد والاثار ، فان العقل لايتمكن من تحديد صاحب الاثار تحديداً تاما ، يتقبله العلم كمعرف كامل للموضوع . . ، وسببه ان مقاييس الادراك اذا لم تصل الى جميع نواحى الاثار بل وصلت الى بعضها ، فالذى تدركه المقاييس بعض الخواص ومعرفة بعض الشيء لايصلح ان يكون معرفا تاما لجميع ذلك الشيء . ، فمثلا نحن اذا ادركنا بعض خواص ـ الهيدرزن ـ ولم ندرك جميع منافعه وآثاره ، فاننا ونحن فى هذه الحالة . لانتمكن من تعريف الهيدرزن تعريفا كاملا يضبط حدوده ضبطا دقيقا ، والحد معناه ضبط الحدود بجميع جهاته ، فاذا لم تضبط الجهات كلها لم يتحقق موضوع الحد . . ،

والكائن الواجب لما كان متقوماً بالوجود ، كانت حقيقته وموجوديته صرف الوجود ، لانه لا يمكن ان يجامع الوجود غير الوجود ،

والوجود كله حقيقة واحدة ، وموجود واحد وان عددته المقاييس، انه شيء واحد ومعنى واحد ، ولذلك صار الوجود بسيطا غير مركب بسيط لا يسع الا الوجود فقط ، فهو صرف الوجود فى حقيقته ، وصرف الوجود فى خارجه ، ولذلك قيل فى تعريفه تعالى (ماهيته انيته) بمعنى ان وجوده فى الخارج عين حقيقته فى العقل . انه صرف الوجود ونحن ووسائلنا المادية فى ضبطها العالم الخارجى . او وسائلنا الفكرية المجرده ، ـ والتى هى وسائل العقل المجرد ـ نعم نحن وهذه الوسائل لم تكن الا ذرات صغيره جداً تتطاير فى بيداء الوجود المترامى الاطراف الى ما لا نهاية ، فكلما بذلنا طاقاتنا كنا كما يبذل الفيء طاقاته لادراك الشيء الذى صار ظله ، ذلك الشيء الذى لا تتناهى حدوده ، فكلما سرنا وكلما قلنا فاننا لم نصل ولن نصل الا الى طرف من اطراف الوجود ، تلك الأطراف التى لن يتناهى عددها ولن يتناهى امدها ، ولذلك قالو : ان الوجود لا تضبطه المقاييس ، وانه لا يدرك ليحدد ، والكائن الواجب جلت عظمته لما كان عين الوجود . كان بسيطا فى حقيقته ، وبسيطا فى كينونته ، كان كلما تصورناه فى افكارنا . وتخيلناه فى اوهامنا ، رشحات من فيضه الذى لا يحد ان ظهور كل شيء فى كل عالم به ، اما ظهوره فهو بذاته التى لا تدركها الاحاسيس ولا تضبطها المقاييس ، ولذلك نجزم بانه لا يدرك ولا يحس ، فاذا اتضحت لنا هذه الحقيقة

وعرفنا بان حقيقة واجب الوجود لن تدرك ، كما ان وجوده الخارجي لن يحس ، نتقهقر عن مقام الذات خطوة الى الوراء لنتجه بوسائل ادركنا الى معرفته من طريق آخر ، معرفته من صفاته المقدسة ، تلك الصفات التي تتجلى في كل شيء ، وهناك نحاول ان نتعارف معه من هذا الطريق ، فهل يمكننا ذلك ؟ ؟ ذلك ما نحاوله في الصفحات الاتية .

صفاته تعالى

ان صفاته كما قسمها علم الكلام تنحصر فى طائفتين :

١ - سلبيه
٢ - ثبوتيه

ومعنى سلبية الصفات ، هو امتناع اتصاف الواجب بها ، ولذلك وجب نفيها عنه . . ، كما ان معنى ثبوت هذه الصفات هو وجوب اتصاف الواجب بها ، ولذلك امتنعت نفيها عنه ؛ فالصفات السلبية هى الصفات التى يتنزه عنها واجب الوجود ، لان منزلة واجب الوجود تعالت عن الاتصاف بهذه الصفات ، وهى كثيرة . منها ان الله ليس بجسم ، وانه ليس بمادة ولا بمركب ، وانه لا شريك له ، ان نفى هذه الصفات عنه يلازم وجوب وجوده ، والصفات المسلوبة صفات تلازم الامكان ، والواجب يتنزه وجوده عن الامكان وصفاته . فاذا رأينا موضوعا يتسم بها عرفنا بان ذلك الموضوع من الممكنات ، لان الواجب يمتنع ان يتسم بها فى وجوده ، انها كالمشى على الاربع والنهيق بالنسبة الى الانسان فكما يمتنع ان يتسم انسان بهما كذلك يمتنع ان يتسم واجب

بالصفات السلبيه

ولكى نفهم الصفات الثبوتيه يلزم ان نتفهم اولا حقيقة الصفة ، ان المواضيع الخارجية اما ان تتقوم بنفسها ، او تتقوم بغيرها ، اما ماتتقوم بنفسها فان معنى تقومها بنفسها هو انها فى وجودها الخارجى لاتحتاج الى موضوع خارجى تتقوم به ، مثاله ذات الانسان فان الانسان يتوجد فى الخارج من دون ان يحتاج وجوده الخارجى الى ذات اخرى يتقوم بها ، ان الموضوع الذى لايحتاج فى وجوده الخارجى الى موضوع اخر يسمى بالذات . ، وان العناوين التى تطلق على هذا الموضوع المستقل ، تسمى باسماء الذات ، مثاله محمد اسم لذات هذا الانسان ، فهو عنوان نفس ذاته ، واما معنى تقومها بغيرها فهو الموضوع الذى يتوقف وجوده الخارجى على وجود غيره ، بحيث لولا ذالك الغير لما وجد هذا الموضوع ، ان الموضوع الذى لا يتوجد فى الخارج الا بغيره يسمى بالصفة ، والعناوين التى تطلق على هذا الموضوع تسمى بالصفات مثاله قائم . ضارب جميل . عالم . فان القيام لا يتوجد فى الخارج الا فى الانسان وهكذا الضرب والجمال والعلم ان هذه المواضيع لا تتوجد خارجا الا فى غيرها ، فالصفة هى التى يتوقف وجودها على وجود غيرها فالاسماء والصفات متقابلان ، ان الاسماء تطلق على الذوات ، والصفات تطلق على اوضاع الذوات وحالاتها

وفى الواجب جل جلاله لما كان وجوده الاقدس يستحيل فيه

التركيب لذلك كانت العناوين التى تطلق على الواجب باعتبار تجلياته من دون ان يلاحظ فيها انها مواضيع لاتوجد الا فى غيرها ، فهى صفات الذات ، لا • لايلاحظ فيها هذه الخصيصه ، بل ان مثل العلم والقدرة والارادة انما تسمى معانيها بالصفات واما المشتقات من هذه المبادى ، والتى تسمى فى غير الواجب بالصفات تسمى فى الواجب بالاسماء كالعالمية والقادرية والمريديه ، انها اسماء الله فالعناوين التى تطلق على الواجب باسم الاسماء ، تطلق على غيره باسم الصفات ، فاسماء الله هى العناوين التى تطلق على الذات المعينه ذات واجب الوجود باعتبار تجلياتها الخاصه ، وله اسم خاص يطلق على نفس الذات خالصة من الاعتبارات ، وهو لفظ الله ، ان لفظة الله بمثابة العلم فى غيره فكما ترمز الاعلام الى حقيقة الذات فقط ، كذلك ترمز لفظة الله الى ذاته المقدسة فقط

وسبب مغايرة صفاته مع صفات البشر ، ان صفات البشر غير ذواتها اما صفات الله فهى عين ذاته ، ولذلك اطلق عليها عنوان الاسم ؛ فقيل فيها : اسماء الله الحسنى .

وادلة كون صفات الواجب عين ذاته كثيرة . نذكر منها ثلاثة

١ – لو كانت صفات الواجب جلت حقيقته غير ذاته ، وكانت زايدة على ذاته وقائمة بذاته قيام صفات الانسان بذاته ؛ لكانت صفته فى وجودها متأخرة عن ذاته فى وجودها ؛ تأخر المظروف عن

الظرف، وكانت الذات متقدمة فى وجودها على الصفة ، بمعنى انه مر زمان كانت فيه الذات خالية عن الصفات. ولم يكن فى الذات الا صرف القابلية والاستعداد لتقبل الصفات ، ومعنى ذلك أن الذات فى هذه المنطقة الوجودية كانت ممكنة الوجود لا واجبة الوجود لانها حسب الفرضية كان فيها استعداد الوجود ، وقد قلنا ان الشيء الذى فيه الاستعداد لا الفعلية يكون ممكن الوجود لا واجبه ، بينما ليس واجب الوجود الا ما كان وجوده فعليا فى جميع الجهات ، ويلزم من ذلك ان يكون هنا شيء واجب الوجود من جهة ممكن الوجود من جهة ثانية ، ولا يمكن أن يكون الشيء ممكنا وواجباً معاً .

٢ ـ لو كانت صفات واجب الوجود متأخرة فى وجودها عن الذات فى وجودها ، للزم أن تكون الذات فى زمان خلوها عن تلك الصفة خالية عن الكمال ، وخلو الذات عن الكمال نقص فى الذات ومعنى ذلك أن تكون ذات الله ناقصة فى تلك الحال وذلك كفر وضلال

٣ ـ لو لم تكن صفاته جلت عظمته عين ذاته لزم تركب الواجب من الذات والصفة ، بينما أيقنا أنه بسيط الوجوب والحقيقة ، والتركب لا يحصل من نفسه بل يحتاج وجوده الى سبب ، والسبب لا يخلو اما أن يكون نفس ذات الواجب . أو يكون غير ذاته . . ، فان كان السبب نفس الذات : لزم منه أن تكون الذات فاعلة للتركيب وقابلة له . . ، فاعلة له . لانه حسب الفرضية هى التى كانت السبب فى التركيب . ،

وقابلة له . لانها نفسها تقبلت التركيب، ، ولا يمكن عليا أن يكون الشيء فاعلا وقابلا معا ، لان الفاعلية والقابلية متنافيان فى الكنه والوجود وذلك . . لان الفاعل لابد وأن يكون واجـــدآ للكمال الذى يفعله ويوجده فى غيره ، لأن الذى يهب الكمال لغيره لا بد وأن يكون واجدا له ، لأن الذى يفقد الشيء لا يمكنه إعطاء ذلك الشيء ، وكيف يعطى غيره مالا يملكه بنفسه، أما القابل. فهو الخالى عن الصفة التى يتقبلها، ولذلك تقبلها . لاننا لو فرضنا وجود تلك الصفة وحصولها فيه لكان قبولها له قبولا للوجود الذى كان موجوداً فيه ، بمعنى أن يكون للوجود وجودان، ويستحيل لمن حاز وجود شيء أن يحوزه مرة ثانية ، وذلك هو سر امتناع اجتماع المثلين . .، كما أنه يلزم من ذلك أن يتقدم الشيء نفسه فى الوجود وذلك لان الفاعلية معناها العلية والسببية ، والقابلية معناها المعلولية والمسببية فكون الذات فاعلة يلزمها التقدم ، وكونها قابله يلزمها التأخر ومعنى ذلك ان الذات بما أنها فاعلة تتقدم الذات نفسها بما أنها قابلة ، ولازم ذلك تقدم الشيء نفسه فى الوجود ولا يمكن أن يتقدم الشيء نفسه فى الوجود فلا يمكن أن تتقدم ذات الواجب فى وجودها على ذات الواجب فى وجودها بالعنوانين . .، هذا اذا قلنا بان فاعل الصفة وموجدها نفس الذات . .، أما إذا قلنا بان فاعلها ذات الواجب جل جلاله ، لزم منه أن يكون الواجب محتاجا فى صفاته الكمالية الى غـــيره ، لانه حسب الفرضية لا تتوجد تلك الصفات فى ذاته الا بوسيلة ذلك الغير، وواجب

الوجود لايمكن أن يكون محتاجا الى غيره فى ناحية من أنحاء الوجود لأن معنى وجوب وجوده استيلاء وجوده ساير انحاء الوجود ، ومعنى احتياجه الى الصفة فراغه من الوجود فى ناحية تلك الصفة ، وفراغه منها يتنافى ووجوب وجوده . ، ولذلك لايمكن أن يكون غيره فاعل صفاته كما لا يمكن حسبما قررنا أن تكون نفس ذاته علة لحدوثها فى ذاته فاذن . . كانت الصفات موجودة . . بوجود الذات ؛ ومعنى ذلك ان صفاته عين ذاته جلت ذاته وصفاته .

شبهة عابرة

اعترتنى وأنا استعرض واسجل هذا الموضوع الشريف شبهة تربك الذهن وتشوش الوعى . . . ، وهى : اننا قلنا : بان الواجب جلت حقيقته صرف الوجود فى موجوديته وحقيقته ، ولازم هذا القول هو أن يكون الراجب كل موجود ، لأن موجودية كل موجود بالوجود ، والوجود . هو حقيقة الواجب وموجوديته ، فالواجب بموجب هذه القاعدة داخل فى الجسمانيات بل هو عين المواد والصور فى الجواهر والاعراض ، والعنصريات والفلكيات . . ، وبعبارة ثانية ان كل موجود واجب الوجود ، لان الموضوع لا يوجد حتى يجب وجوده ،

فكل شيء واجب الوجود ومعنى ذلك ان يكون كل شيء هو الله ، والالتزام بهذا القول كفر وضلاله . والحاد وجهالة . . . وترتفع هذه الشبهة .. لو تأملنا جيداً وعرفنا ان الواجب لا يمكن ان يكون شيئاً من الاشياء . . . مهما كان ذلك الشيء ، ماديا كان او مجرداً .. ، لان الاشياء الموجوده فى الاكوان والعوالم كلها مستحدثة . . ، وانها لها بداية كما ستكون لها نهاية . . ، فهى لم تكن ثم كانت . . ثم لا تكون . ، والواجب جلت عظمته . يتنزه عن الحدوث . فهو لا بداية له ولا نهاية انه ابدى ازلى ، وعليه لا يمكن ان يكون الواجب شيئاً من الاشياء فى كل الاجواء ، كما لا يمكن ان يتخلى عنه شيء من الاشياء فى وجوده . ، لان الوجود متقوم به ، فالوجود فيضه الاقدس ، فالاشياء ليست منه فى حدودها ، وان كانت تتقوم بفيضه فى وجودها . ، ولقد اشار الى هذه الحقيقة الرائعة سيد الموحدين وامير المؤمنين على ابن ابى طالب عليه السلام بقوله : داخل فى الاشياء لا بالممازحة ، وخارج عن الاشياء لا بالمباينة . .) وقال الله تعالى الله نور السماوات والارض . مثل نوره كمشكوة فالله نور السماوات والارض وظهورهما ، وليس هو نفسهما . ، انهما فى ذاتيهما ممكنان ، لم يكونا ثم كانا ، وان كان وجودهما ونورهما قائما به فهو ليس هما . وان قام به وجودهما ، انهما ممكنان . ، وهو واجب الوجود ، ان لهما بداية ونهاية . ، ولم يكن له اولا ولا اخرا . . لانه ازلى ابدى

صفات الثبوتيه

وتنقسم صفات الثبوتية الى قسمين

١ - صفات الكمال

٢ - صفات الجمال

وصفات الكمال . وهى التى تتسم بها الذات من دون ان يكون تحققها فيه متوقفا على تحقق غيرها فى غيره ., وهى طائفتان

١ - طائفة يتعرى مفهومها واثرها عن الاضافة الى الغير وتسمى : بالصفات الحقيقيه المحضة كاسم (الحى)

٢ - طائفة يتعرى ويتنزه مفهومها عن الاضافة الى الغير ، لكن يتوقف اثرها وتحققها على تحقق الغير وتسمى : بالصفات الحقيقية ذات الاضافة . كاسمائه . العالم والقادر

واما صفات الجمال . فهى التى يتوقف تحقق مفهومها واثرها على

تحقق الغير . وتسمى بالصفات الاضافية المحضة كالاسماء الحسنى :
الخالق والرازق والرحيم

فصفات الكمال هى صفات الذات نفسها ، فلا يتصور انفصالها عن الذات ، بل هى جلوات نفس الذات ، ويكون انتفاؤها عنه مساويا لانتقاء الذات نفسها . ، ولاشك بانها عين الذات بكلا قسميها وصفات الجمال . هى صفات فعله تعالى . ولا ترتبط بذاته ، فلا تكون عين ذاته ولا يكون انتفاؤها عنه مستوجباً لحدوث نقص فى ذاته بل لا كمال للكامل المطلق فى العنوان الاضافى ابداً وانما الكمال للعنوان المضاف اليه ، ان هذه الصفات لا تتحق الا بعد تحقق الذات وتحقق كمالها التام

نظرة عامة فى صفاته الثبوتيه

ان الله لما كان فى حقيقته صرف الوجود ، فالوجود قائم به ، والموجودات تتقوم به . لان تقومها بالوجود ، الذى هو حقيقة الواجب ، ان الوجودات ليست الاظله وفيئه ، وظل الشىء فيضه ، فالموجودات فيض الواحب ، فكل موجود متقوم بالواجب ومما لاشك فيه . ان عالم الموجودات يحتوى على العلم . والقدرة . والارادة .

والاختيار والرحمة . والرزق . وغير ذلك من الموجودات الكماليه التى تتماوج فى اجواء الوجود فهذه الكمالات والجمالات متقدمة بالوجود بل هى لو انتسبت الى الواجب كانت عينه فى وجودها . وغيره فى حدودها لانها فيضه وظله ، انها مجالى الوجود ومظاهره انها نفس الوجود ترآى فى هذه الكمالات والجمالات ، انها تتجلى بتجلى الوجود ، انها كل ما ازداد الوجود ظهوراً ونورانية ازدادت ظهوراً وحلوة ، وكلما صعد الوجود وتكامل صعدت هذه الصفات وتكاملت . لانها فيضه الذى لايفارقه ،فالطبيعة ليست الامظهراً لقدرة الله. ومعملا لصنعه ، وان كل موجود فى العالم الطبيعى من الماديات . والمجردات . البسايط منها والمركبات ، العنصريات منها والفلكيات انكل ذرات العالم التى تتركب منها صور الموجودات . كلها مظاهر لقدرة الله وحكمته وكلها رموز الى الى علمه وحياته ، (يسبح لله مافى السماوات والارض) (ولله يسجد ما فى السموات والارض) ان كلها تتحدث فى وجودها عن موجدها الاعظم ، تتحدث عن علمه عن قدرته عن ارادته . عن حياته عن كل صفات ذاته وصفات افعاله . ، ان الارادة لولم تكن موجودة فى الواجب لما وجدت فينا ، لانها وهى فينا فيضه وظله ، لاوجودلها الا بالمفيض وذى الظل ، وهذا العلم والحلم والرحمة ، وغيرها لولا وجودها فى الواجب لما وجدت فينا ، لانها ليست الا مجاليه بل ظلاله التى يلازم وجودها فى الممكنات وجودها فى الواجب ، وبهذا البرهان الوجدانى

ثبت بصورة عامة وجود الصفات الثبوتية جمالية كانت أم كمالية فى ذات الواجب جلت عظمته ، ان العلم الذى تتمايز بها العلماء ليس الا فيض الواجب، ولا يمكن ان يكون العلم فيض الواجب الا إذا كان ثابتا فيه ، وأن الارادة التى يتميز بها الانسان عن غيره من الموجودات ليست الا ظلا لارادته ؛ فلو لم تكن موجودة فى الواجب لما امتد ظلها على البشر ، وأن الحياة التى تتنعم بها الا حياء ليست الا فيئا لحياته جلت عظمته ، وهكذا ساير الصفات الثبوتية التى لها أمثلة فى الممكنات لم تكن إلا فيضا منه ، ان الواجب هو الذى يتفضل بها على الممكنات، ؛ فلو لم تكن موجودة فيه ، لزم أن يفيض الوجود من المعدوم ، ان الذى لا يملك الجوهر المكنون لا يمكنه ان يهبه لغيره . . ، لان فاقد الشيء لا يعطى ان الواجب جل جلاله لو كان عاريا من هذه الصفات لما وجدت فى عالم الامكان ، لان موجودية الممكنات ظل وجوده ، فلو لا وجودها فيها لما لمسناها فى الممكنات، ان الوهاب الكريم وهب من خزائن رحمته هذه الالطاف التى يتباهى بها الانســـان ، ويتسامى فيها عالم الامكان ، ان وجودها فيناظل وجوده فيه ، ان موجوديتنا فينا بالوجود الذى هو حقيقته ، أما موجودية الوجود فهى ذاتيـــة له ، ان صفاته عين ذاته جل جلاله الاقدس .

واليك نبذة من صفاته التي هي عين ذاته . فمنها

علمه تعالى

ان الله عالم . عالم بذاته . وعالم بمخلوقاته . فهي مواضيع ثلاث

١ ـ علمه

٢ ـ علمه بذاته

٣ ـ علمه بمخلوقاته

أما كون الله عالما . فانه مما لاشك فيه ان العلم من صفات الكمال ، فلو فقدت هذه الصفة من الواجب ، ووجدت في بعض الممكنات ـ وهي موجودة قطعا ـ لكان ذلك الممكن . افضل من الواجب في وجوده ، ومعنى أفضلية الممكن هو ان تكون للممكن مرتبة من الوجود لم ينلها واجب الوجود . وذلك محال . ، لان واجب الوجود هو الذي يستوعب كل مراتب الوجود بوجوده ، فلا يمكن ان تخلو منه منطقة وجودية . فاذا تصورنا خلو منطقة العلم منه . لم يكن مافرضناه واجب الوجود واجب الوجود . ، لان واجب الوجود هو الذي يتقوم به الوجود في كل موجود ، فاذا تجرد عنه موجود كان ذلك الواجب . غير واجب الوجود في هذا الموجود ، واذا فاتت الواجب منطقة من

الوجوب . فات عنه وجوب الوجود ، وكان ماتصورناه واجب الوجود غير واجب الوجود

دليل وجدانى على علمه

العالم الطبيعى وما فيه من النظم والقوانين الثابتة ، وما اشتمل عليه من المواد والعناصر ، ومن الهندسة الدقيقة ، لم يكن هذا العالم وما فيه من عمل جاهل ولا من وحى غافل ، ان هذه المجاميع الشمسية وما فيها من السنن المدهشة ، لا يمكن ان تكون منتوج جاهل بليد ، ان الوجدان يحكم قاطعا بانها من صنع عالم جبار فى علمه . استوعب علمه كل مافيه من خصائص العناصر . وهندسة التكوين . وموازين الطبايع . ان صانع العالم يعلم بما فيه ومن فيه ، لان ذلك كله من صنعه والمصنوع بعض آثار علم الصانع ، فصنعة العـــلم لابد وان تكون موجودة فى صانع العالم جلت عظمته

واما علمه بذاته فانه يظهر فى تمهيد هذه التقدمة

ان العلم على قسمين

١ ـ علم حصولى

٢ ـ علم حضورى

والعلم الحصولى . هو الصورة المنطبقة فى الذهن من الموجودات الخارجية . ، فالانسان يشاهد حادثة فترتسم صورتها وصورة ابطالها ومناظرها فى ذهنه ، فيكون عالما بها . ، أو يقرء موضوعا علميا

فى الكتاب . فتنطبع صورة منه فى وعيه يعرضها فى كلامه او فى كتابته لو سئل أو تحدث عنها ، فهو عالم بذلك الموضوع . ان هذا النوع من العلم يسمى بالعلم الحصولى ، لانه يحصل فى ذهنه من المشاهد الخارجية مقروءة أو مسموعة أو منظورة صورة منطبقة فى ذهنه ، ان تلك الصورة تسمى بالصورة العلمية ، وان ذلك الانسان يسمى بوسيلة تلك الصورة عالما

واما العلم الحضورى . فهو حضور نفس المعلوم فى الوعى . ، كعلم الانسان بذات نفسه ، فان نفس الانسان ليس لها وجود خارجى تنطبع من مشاهدتها صورة فى النفس ، وانما كانت النفس بنفسها موجودة فى النفس ، فالنفس تستحضر النفس بنفسها من دون وساطة آلة اووسيلة ، لان المعلوم الذى هو النفس بنفسه حاضر عند العالم الذى هو النفس ، ويسمى هذا النوع من العلم بالعلم الحضورى . لحضور المعلوم بذاته عند العالم

ولما كانت ذات الحق منكشفة لذاته ، لانكشاف ذات كل عاقل لذاته ، وحضور نفس ذات الواجب عندذات الواجب ، فالواجب عالم بذاته بالعلم الحضورى ، بل هو نفس العلم بذاته ، لاننا قلنا ببساطة حقيقته ووجوده ، وانه صرف الوجود ، وليس العلم الا جلوة من جلوات الوجود ، فيكون نفس العلم بذاته ذات العالم ، فاتحد بذلك العلم والعالم والمعلوم كما لا يخفى

وأما علمه بغيره: فان الله عالم بجميع الموجودات بسائطها ومركباتها. جزئياتها . وكلياتها . مجرداتها . وماديانها ، (ان الله لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء)لانه (احاط بكل شىء علما)

والدليل العقلى على ذلك : ان ذات الحق كما حققناه لما كانت صرف الوجود كانت مراتب الموجودات وأقسامها مبسوطة تحت ظله وقائمة بذاته ، لانها قائمة بالوجود ، ولما كان جلت عظمته عالما بذاته فانه سيكون عالما بكل الموجودات المبسوطة بوجودها تحت ظل ذاته المقدسة ، فهو اذن عالم بجميع الموجودات التى تتقوم بذاته،لانه يعلم ذاته، ولا يحيط علمه بذاته الا بعد أن يحيط بكل ماتظلله ذاته المقدسة ، لانها أظلة ذاته ، تفيض من ذاته المقدسة ، والا فانه اذا لم يعلم الموجودات التى تستظل بذاته لم يعلم الذات نفسها ، لان الشىء لا يعلم اذا جهل الانسان فيىء ذلك الشىء ، وقد فرضنا أنه عالم بذاته ، فهو اذن عالم بكل ماتنبسط عليه ذاته

برهان آخر . ان ذات الواجب لما كانت هى العلة التامة لايجاد الموجودات كلها ، وكان العلم بالعلة يساوى العلم بالمعلول . اذ العلية لا تعلم الا اذا علمت المعلولية ، ولان المعلول بجميع جهاته الوجودية منكشف للعلة العاقلة ، فلا يخفى شىء من المعلول على العلة العاقلة ، ولما كانت ذات الواجب علة لايجاد الموجودات كلها . وكان الله عالما بذاته كان عالما بجميع مخلوقاته ، لان ذاته علة لها ، وهو عالم بذاته التى هى

العلة لوجود تلك المخلوقات ، فهو إذن عالم بجميع تلك المخلوقات برهان وجدانى على علمه بمخلوقاته . ان الانســـان حينما يشاهد المجموعة الشمسية . وما فيها من الاكوان والعوالم ،وما احتوت عليه من الانظمة الثابتة والقوانين الدقيقة التى لايمكن صدورها عن جاهل لايتفهمها ، أو من فاعل غير حساس فاقد للشعور ، لان هذا النظام التام وهذه الدقة المتعمقة التى نشاهدها فى اوضاع الكواكب والسيارات ، وأجزاء العوالم والاكوان ، بحيث لو اختل توازن جزيىء منه ، أو لو زاد أو نقص عنصر من عناصر الطبيعة ، لانهار العالم القائم ، ولانعدمت الاكوان الموجودة كلها ، ان هذه الدقة فى النظام لايمكن ان تكون وليدة الجهل والعمى ، انها لم تصور الا من عقل جبار يسيطر على كل مافيها من عناصر وطاقات ويحيط بكل مافيها من أجزاء وجهات ، فالذى قدر العوالم ودبرها . وكون الاكوان وانشأها : لابد وان يكون عالما بكل مابها ، مدركا جميع اسرارها ، ملما بالاماد والابعاد التى بينها ؛ لأن الجاهل الذى حار فى تدبير نفسه .كيف يتمكن من تدبير هذه الاجهزة المغلقة ، ام كيف يتمكن فاقد الشعور ان يتبكر هذه الكائنات العجيبة من دون ان يحتذى بها مثالا سابقا لها ، أو يأخذ هذه العلوم والفنون من استاذ ماهر ، كيف تتمكن المادة العمياء الصماء التى لاتحس ولا تشعر ، والتى لاتدرك نفسها من تكوين النفوس والارواح والهيئات والصور ، ان الذى يعتقد بذلك يبغاء عجماء

تلقى الاصوات من الملقن من دون ان تعي مافيها من الاسرار والمعانى.، ان الانسان الواعى اذا نظر نفسه ثم رفع نظر واجاله فى السماء وما فيها وعاد فنظر الارض وما عليها آمن بان المنشأ لها عالم لا تحيط المقاييس آماد علمه ، ولا تدرك الموازين كمية اطلاعاته ، انها آية العلم الذى انشأها العليم الخبير ، فدع عنك مايتحذلق به المغررون فتعالى الله عما يقول الجاهلون

قدرته تعالى

القدرة صفة تطلق على الفاعل المختار ، الذى يتمكن من فعل المقدور وتركه . . ، فيقال مثلا : زيد قادر على الضرب بمعنى ان شاء ضرب ، وان شاء أمسك عن الضرب ، ولا يقال : الشمس قادرة على الحرارة لان الحرارة لاتدخل فى منطقة اختيار الشمس، بحيث ان شاءت اعملتها وان شاءت كفت عنها ، فالقدرة هى امكان صدور الفعل أو الترك من الفاعل ، ولا شك بان رجحان أحد طرفى الفعل أو الترك ، اللذين يتساويان فى المقدورية عند زيد . رجحان أحدهما لايكون الا بمرجح وباعث على الفعل أو الترك ، ويسمى المتكلمون المرجح بالداعى ،لانه هو الباعث على تقديم احدهما على الآخر ، وعلى هذا البيان تتقارن القدرة والعلم بالمصلحة أو المفسدة. ولهذه الخصيصة الأخيرة وان القدرة لاتفارق العلم بالمرجح ، اختص عنوان القدرة بالعلم بالداعى فقط ، بحيث أصبحت القدرة لاتطلق الا عليه . لا على المنطقة المتساوية ما بين الفعل والترك ، بل صارت القدرة تطلق على المنطقة المتساوية مع شعور القادر ووعيه بالداعى ، ولا شك بان الشعور بالداعى وحده لا يكفى

فى تحقق القدرة بل لابد وان يلازمه الفعـــل ، بحيث يكون الشعور والفعل معاً محققين لموضوع القدرة .

وربما تطلق القدرة على معنى أوسع من المعنى المذكور ، اذ تطلق على ما يقابل العجز ، ويراد منها عدم قصور الفاعل عن ايجاد المقدور سواء كان الفاعل مختاراً كالانسان الضارب ، أو مضطرا كالنار المحرقة والمفهومان تتحققان فى الخارج ، فهناك انسان قادر له شعور بداعى الفعل وله حركة نحو الفعل، وهناك نار غير عاجزة عن الاحراق، وشمس غير عاجزة عن بعث الطاقة الحرارية، ولكن القدرة الاختيارية اشرف منزلة من القدرة الاضطرارية ولما كان الواجب جل جلاله يشمل وجوده ساير مناطق الموجودات ، فذاته مشتملة على القدرة الاختيارية ، لان سلب القدرة عنه يساوى سلب الوجوب عن ذاته لان الواجب هو الذى يتقوم به كل موجود بوجوده ، فاذا تخلف عنه موجود تخالفت عنه صفة الوجوب . . ، ولان وجود القدرة فيض منه ، لانه مفيض الوجود ، فلو لم يكن حائزاً على القدرة للزم ان يكون معطيا ما يفقده ، بينما فاقد الشيء لا يعطى . . . ، كما وأنه لو لم يكن قادراً لاحتاج فى أفعاله الى غيره ، وذلك الغير اما ان يكون واجب الوجود فيلزم تعـــدد الواجب وقد عرفت بطلانه ، وان كان ممكـنا يلزم احتياج العلة الى معلولها وهو محال . ، وهناك دليل وجدانى يؤيد العقل ويسدده وهو وجود العالم الطبيعى وما فيه من القوى والطاقات ، ولا شك بان تسخيرها يحتاج

الى قوة أعظم وطاقة أقدر منها ، لان الضعيف يمتنع ان يسخر القوى ، وبما انه فاطر السموات والارض ، ومسخرهما لذلك كان أقوى منهما وبما فيهما ، ان فى هذا الجهاز الجبار والنظام الاسمى ، والسنن الموجهة التى لاتتمكن من المخالفة ، لايمكن ان تخضع الا لقوة اسمى منها ، وقدرة اعظم من قدرتها ، فقدرة الواجب جل جلاله كساير صفاته لاتتناهى آمادها وعظمتها تقدست اسماؤه

اختياره تعالى

الاختيار نهاية سير القدرة ، لان الاختيار ليس الا ترجيح احد الطرفين المتساويين على الآخر ، والترجيح لايتحقق الا بعد حصول العلم بوجود المصلحة فى طرف الراجح وارتفاع المفسـدة عنه ، والاختيار يقابل الاضطرار ، والمضطرهو الذى لايتمكن من التخلص عما هو فيه ، كـآلالة التى فى المعمل ، فانها لاتتمكن من امساك نفسها عن العمل الذى تقوم به ، والسر فى ذلك اجتماع شرايط العلية فيها واذا اجتمعت شرايط العلية فى موضوع لايتمكن ذلك الموضوع من منع صدور المعلول ووجوده عنه ، أما المختار فانه وان شارك المضطر فى اجتماع شرايط العلة ، الا أنه يمتاز عن المضطر بحيازته على الاختيار الذى تجعله اقوى من شرايط العلة ، فانه مع اجتماعها فيه يتمكن من منع المعلول عن الصدور ؛ بل يكون وجود المعلول بيده ان شاء أوجده . وان شاء منعه من الوجود ، مثاله الانسان والقيام ، فان شرايط العلة لوجود القيام مجموعة فى الانسان ، ومع ذلك - فان الانسان بيده زمام القيام . ان شاء اعمل العلة فحصل القيام . وان شاء اهملها فلايحصل

فهناك علتان . علة مضطرة . لا تتمكن من منع صدور المعلول عنها وعلة مختارة تتمكن من منع صدورها، ومن الواضح بان العلة المختارة اشرف من العلة المضطرة ، لان العلة المضطرة لا فضل لها فى الطاف معلولها ، لانها تصدر منها من دون ان يكون لها اثر فى صدورها منها، انها تصدر منها ارادت صدورها او لم ترده ، اما العلة المختارة فانها متفضلة فى تقديم الطافها ؛ فان امر تلك الالطاف بيدها ان شاءت حققتها وان شاءت منعتها ، فهى متفضلة فى تقديمها مواهبها ولذلك صارت اشرف من العلة المضطرة، والاضطرار معناه الجهل والعجز عن التصرف بالموضوع المضطر اليه، وهما نقيصتان جل عنهما مقام الواجب المقدس ولما كان الواجب فى الواجب ان يحتوى على اشرف الكمالات وأفضلها وكان الاختيار من الكمالات الوجودية لذلك وجب أن يكون مختاراً فى فعله

كما وان صدور العالم الطبيعى عن الواجب جلت عظمته الذى ثبتت قدرته وعلمه ، قدرته على مافيه . وعلمه بما فيه ، ان علمه وقدرته يدلان على اختياره فى فاعليته ، لان ما يصدر عن العلة المضطرة الفاقدة للشعور ليس معلول تلك العلة واقعاً . وانما هو معلول محرك العلة ، ذلك المحرك الذى يتصرف بالعلة كما يشاء ، ان شاء حركها فانوجد المعلول ، وان شاء امسك عنها فامتنع المعلول عن الوجود ، ان العلة الصماء العمياء التي لاعقل لها ولا شعور لاتستحق العبادة ولاالتقديس ولا الاطاعة،

وكيف يعبد الانسان مالا يحس به وبعبادته ، وكيف يطيع العاقل مالا يشعر باطاعته ، وقد اثبتنا وجوب اطاعة الواجب عقلا ووجوب عبادته وجدانا ، ولا يتحقق الوجوبان الا اذا كان الواجب جل جلاله مختاراً فى قدرته على صنعه وخلقه

ولو كان الله مضطراً ومجبوراً فى قدرته ؛ لانحصرت قدرته فى ناحية كانحصار العلل الغير الشاعرة فى انتاجها ، ونتيجة ذلك هو عدم حدوث التغيير فى الكائنات والتبديل فى الموجودات وذلك باطل بالحس والوجدان

ارادته تعالى

الـكافى . أحمد بن ادريس ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان ابن يحيى ، . قال : قلت لابى الحسن (ع) : اخبرنى عن الارادة . من الله . ومن الخلق ؟ ؟ قال (ع) : الارادة من الخلق الضمير . . ، وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل . . ، وأما من الله تعالى . فارادته احداثه لا غير ذلك ، لأنه لا يروّى . ولا يهتم ، ولا يتفكر ؛ وهذه الصفات منفية عنه ، وهى صفات الخلق . . . ، فارادة الله الفعل لا غير ذلك ، يقول له : كن . فيكون ، بلا لفظ ولا نطق بلسان .
ولا همة ولا تفكر . كما انه لا كيف له . . . ،

استعرضت هذا الحديث الشريف، لانه يعرض علينا مخططا كاملا ، يشرح ارادة البشر . وارادة الله ، والفرق بين الارادتين . ، فارادة البشر هى الـكيفية التى تعترى النفس ، والتى يعبر عنها الامام (ع) : بالضمير . لأن الحالة الارادية من الـكيفيات المضمرة . التى لا ظهور لها بنفسها . ، ان الانسان يقرء أو يتصور شيئا وفوائده ، أو يتأمل صورة جميلة ، ثم بعد دراسته للموضوع فكريا ولحـــاظا يصدق

بوجود تلك الفائدة ، ويؤمن بجمال الصورة ، فاذا حصل له اليقين بذلك أحبه . وبحبه له يتوجد فيه عزم للوصول اليه ، وبالعزم يتوجد الميل الذى يزداد ويزداد حتى يستحيل ضميره شوقا مؤكداً تتحرك منه العضلات . ، ان هذا الشوق المؤكد .والذى يعبر عنه الامام(ع) بالهمة ، والذى تتبعه حركة العضلات ، ان هذا الشوق هو الارادة فى وجود الانسان ، فارادة الانسان هو الشوق المحرك للعضلات نحو المطلوب

وأما فى الواجب جل جلاله الاقدس . فارادته فعله . ذلك الفعل الذى لايتقدمه تفكر. ولا اهتمام ، ولايحدث له منه كيف نفسانى ،لانه تعالى شأنه ليس جسما ليقبل التركيب ، أو تعتريه كيفيات الحالات الطارئة على جسم الانسان كالحمرة من الخجل ، والصفرة من الوجل انه تعالى ليس بجسم ليستقبل الكيفيات الجسمية ، كما أنه ليس بنفس لتعتريه الكيفيات النفسانية ، انه كما حققناه فى محا ضراتنا بسيط الوجود . بسيط الحقيقة ، فارادته نفس فعله . وبعبارة فنية انالفعل هو نتيجة الارادة ،لانهلولا الارادة لما حصل الفعـــل ، منالانسان ان الانسان يريد فيفعل ، و ارادة الله ، نتيجة ارادته ، وهى الفعل الصادر عن علمه بالنظام الاتم ، والذى حسب ماقررناه نفس ذاته المقدسة ، لأن صفاته عين ذاته ،

كلامه تعالى:

الـكلام . هو الالفاظ التى تدل على معان يفهمها السامع. فالكلام موجود خارجى يتكون من الحروف التى تمر على مخارجها فى الفم . ثم تتماوج فى الهواء . وبضغط الهواء تصل الى ذهن السامع من طريق السمع ، فتحدث فى نفس المخاطب وعيا للمعانى المتعاهدة بينها وبين الالفاظ المخصوصة ، فالـكلام موجود خارجى بهذا اللون من الموجودية . . ،

وللـكلام وجودان . وجود مقدمى . ووجود غائى ، أما الوجود المقدمى . فهو الالفاظ بما هى الالفاظ تتركب من الحروف الهجائيه ، وأما الوجود الغائى . فهو المعانى التى ترتسم فى ذهن المخاطب من تلك الالفاظ ، فالالفاظ اذا حللتها لا تـكون الا قشوراً تحفظ اللباب وهى المعانى . ، فليس للالفاظ فائدة الا المحافظة على المعانى التى هى اللباب المنشود بين الطرفين ـ المتكلم . والسامع ، ان المتكلم يحاول ان يفهم السامع معانيه ، والسامع يروم ان يتفهم تلك المعـانى ، وما الالفاظ الا وسيلة للتفهم فقط ؛ فالـكلام حقيقة هو المعانى المقصودة من الالفاظ ، فاذا أمكن للمتكلم ايصال المعانى الى السامع من غير طريق

اللسان . كان الموصل متكلما ، وكان ما أوصله الى المخاطب كلاما ، لان حقيقة التكلم هى ايصال المعانى الى نفس السامع ، فللكلام وجودان. ظاهرى وهوالقشور اللفظية ، ومعنوى .وهو المعانى المنطبقة فى ضمير السامع ، ولما كان الانسان عاجزا عن التعبير عن خوالجه النفسية الا بوسيلة الالفاظ ، لذلك صار كلامه هو مايتماوج من تحريك لسانه ، فاذا تمكن الانسان من ايصال المعانى التى فى نفسه الى نفس المخاطب من غير طريق اللسان ، كان كلامه ابلغ . لانه أسهل وسيلة من اللسان الذى يحتاج الى جهاز التكلم المعقد ، كما ويكون مرامه أضمن وصولا الى الهدف المنشود من التعبير البيانى

حواجبنا تقضى الحوائج بيننا ونحن سكوت والهوى يتكلم

وكلام الله من النوع الثانى ، انه من الكلام المعنوى ، ولا نريد بذلك ان نثبت الكلام النفسى الذى تقول به الاشاعرة ، لان الكلام النفسى عندهم هو صور المعانى الذهنية وتعقلها قبل القائها باللسان بوسيلة الالفاظ ، ان ماتصوروه ليس الا العلم الحصولى الذى لايتأتى الا بوسيلة جهاز التفكير ، كما أنه ليس من الكلام اللفظى الذى يحتاج الى جهازه الخاص ، ان حصول كل واحد من الكلامين يتوقف على الجسمانية التى يتنزه عنه الواجب جل جلاله . . ،وانما نريد بكلام الله هو ان الله يظهر كماله الذى لاتينا هى ويعرض منه مايتحمله الخارج ، ان الكمال لايمكن ان يخفى انه يريد الظهور ، انه كنور الشمس الذى

لانحجبه الغيوم ، وعلى هذا التحقيق يكون العالم كله كلام الله ، لانه مظهر كماله فى شتى مظاهره (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) فالعالم الطبيعى كتابه التكوينى ، وليست المشاهد والمناظر الا آياته وسوره التى يتلو بها الوجدان والفكر كماله وجماله وجلاله ، وفى الآية المباركة اشارة الى ان لله كتابين . كتابا آفاقيا . وهى الطبيعة . وما احتوت من النظم والقوانين الكونية . وكتابا نفسيا ، وهى الوجود الانسانى وما اشتمل من الاجهزة الظاهرة والمستترة والذى لم يسبر العلم الى الان اسراره وأغواره ، وما اكتشف منها يكفى للانسان الواعى بان يسجد لعظمة الله وجلالته ، ان الانسان عالم الله الصغير ، وان الكون انسان الله الاكبر

اتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر
وانت الكتاب المبين الذى باحرفه يظهر المضمر

فكل مافى الكون من العوالم والافاق ليس الا صفحات تسجل آيات الله الباهرة ، ان الكون ليس الا كتاب الله التكوينى الذى نقرء به بدايع خلقه وروائع انشائه ، انه كلام الله المجسم الذى نسمع منه الحانه الازلية ، وربما تقتضى الحكمة الالهية ان يموج الحقايق العالية فى وعى انسان كامل ، انسان يموِّن الله انسانيته بطاقات خارقة ، لينتخبه نبيا يحمل الى الانسان رسالته التوجيهية ، ثم يفيض الحقايق العالية بوعيه بوسيلة الوحى ، تلك الحقايق التى كانت موجـــودة

فى عالمها المستور، انها متجلية هناك لانها لايمكن سترها ، الا أن مجاليها لايتمكن الانسان ان يصل اليها بطاقته العادية ، انهـــا فوق مجال الطاقة البشرية ، ان الله يظهر تلك الحقايق لانسانه المختار ، بوسيلة الملك ، أو بغيره من وسائل الايصال ، ليعرضها على الاجيال الانسانية بمظاهر الالفاظ والكلمات، لتتربى بها العقول والاذهان ، ولتستلذ بها الالسن

والآذان نزل به الروح الامين على قلبك ، لتكون من المنذرين) ان الله ينزل تلك الحقايق المقدسة من عالمهـــا المسحور الى وحى سيد المرسلين لتدون فى سجل الانسانية ، ولتخلد فى معرض الاعجاز كتابا مقدسا (لايمسه الا المطهرون) فالقران كتاب الله التدوينى ، والعالم قران الله التكوينى ، ولقد التفتت الى هذه الحقيقة اللذيذة . طائفة من الفلاسفة الالهيين ، فراحت تنشد الحقايق من كتابيه التدوينى والتكوينى تنشده من آيات الذكر الحكيم ،فتستخرج الحقايق من مفاهيمه القدسية كما تستخرجها من ايات الطبيعة الساحرة التى تموج بالمعانى والأسرار

الى هنا . نكتفى بما ذكرناه . من صفات الله الثبوتية كنموذج لما اتصف به جلت عظمته ، لتلمس المسلم الواعى مقام الالوهية الاقدس وما يحيط بها من الهالات

وأما صفاته السلبية ، فانها مفاهيم لاتتحقق الا الممكن والتى جل

عنه الواجب ، فالتركيب . والتجسيم : والمشاهدة والمكان وغيرها من الصفات السلبية التى تتحدث عنها كتب علم الكلام تفصيلا ، ليست الا من المفاهيم التى يختص بها الممكن باجناسه وانواعه، ولذلك نتركها ، مكتفين بما ذكرنا من الصفات الثبوتية ، والله ولى التوفيق

النبوة

تمهيد وتقدمه

النبوة موضوع حيوى . تتوقف على الايمان به هداية الانسان وسعادته ، ولا نتفهم أهمية هذا الموضوع الا اذا تفهمنا الانسان ، لانه موضوع يمت بالانسان من حيث هو انسان ،

لكل فرد من البشر رابطتان . . ، رابطة مع نفسه . من حيث هو موضوع له اطاره الخاص ، ورابطة مع أبناء جنسه من حيث أنه لبنة فى بناء المجتمع الانسانى ، ولكى نتفهم الرابطتين نتدرج فى تفهم الانسان وما يحتوى عليه هذا الكائن المفكر من الخصوصيات

يمتاز الانسان عن ساير الانواع الحيوانية بالادراك ، ادراك الكليات التى لاتدرك إلا بجهاز الفكر المعقد . ، فمثلا الانسان وحده يدرك بان لكل شىء سببا ، وبان البقلة الحمقاء فى الصحراء الجافة لايمكن أن تنبت من نفسها . دون أن يكون لها بذرة تمتزج بالتراب . وترتوى بالماء . وتمنحها الشمس من حرارتها طاقة كافية للنمو ، ثم تنبت لها جذور تتوغل فى الارض وينبع لها غصن تتوجه ورقتان ، ان البقلة لايمكن ان تنبت من دون ان يكون منبتها صالحا للانبات ، ودون ان تجتمع لها شروط الحياة حياة النبات . . ، وبهذه الطاقة

العقلية اكتشف ان العالم الطبيعي . وما يحتوى عليه من الطاقات والشحنات. والعناصر . والاجزاء . والانظمة . والقوانين ، لايمكن ان يتوجد بنفسه ،

بل لا بد وأن يكون له موجد قوي له إرادة صارمة وعلم جبار، وخبرة واسعة . وبصيرة نافذة ؛ وأدرك ان موجده لا بد وأن يكون حيا ليمد هذه الكائنات بالحياة ، كما ولا بد ان يكون حائزاً على الصفات التى حازتها مخلوقاته ، وأدرك ايضا ، انه وهو الانسان مرتبط بهذا الخالق الجبار ارتباطه بالحياة ، فكما أنه يفقد كل شي بافتقاد الحياة، فكذلك يفقد كل شيء لو فقد هذا الخالق العظيم ، ان كل شيء يحيط به فيض من هذا الخالق، فلا يملك الانسان الا ماتفضل به عليه خالقه العظيم ، وأدرك أيضا ان هذا الخالق لايعبث ولا يلهو فى أعماله ، انه لم يخلقه عبثا . بل كان له من خلقه هدف منشود ، فما هو هذا الهدف؟ أن الهدف يحيط بالانسان فكما كان للانسان جنبتان . جنبة مع نفسه . وجنبة مع مجتمعه ، فكذلك لا بد وان يكون للهدف جنبتان . جنبة مع نفسه . وجنبة مع مجتمعه

فما هو هذا الهدف؟

وهنا نتوقف لندرس العالم الذى يعيش به الانسان ، لان تفهم الهدف يتوقف على تفهم الانسان وتفهم عالمه ، والملاقات الموجودة بين الانسان وعالمه الذى يعيش فيه

ان العالم الذى يعيش به الانسان . تتصارع فيه قوتان . ، قوة الخير . وهى التى تصون انسانية الانسان من كل خطر وضرر . ، وقوة الشر وهى التى تهدد انسانية الانسان بكل خطر وضرر ، ان الحيوان فيه هاتان القوتان ، فهناك الحيوانات الضارية والسامة ، وهناك الحيوانات المؤنسة والمغذية ، وهناك النبات وفيه تنبت القوتان، وهناك كل العناصر التى تتركب منها الحياة الانسانيـــة ، بل وحتى اعمال الانسان نفسه تتصارع فيه القوتان بل ونفس الانسان سجين هاتين القوتين ؛ فله غرائز تدعو الى الخير ، وله غرائز تدعو الى الشر ولـكى يميز الانسان اعماله وغرائزه ، ويفرق بين الضار منها والنافع، والصديق والعدو ، نعم لـكى يميزها الانسان لابد له من مرشد يدله الى مادة الخير ويحذره من مادة الشر، ويلمسه ملـكة الخير ويشرفه على ملـكة الشر ، لـكى يسير فى حياته بامان واطمينان ، كما ادرك الانسان ان الملـكات والاعمال تتفـاوت فيها جهات الخير والشر ، لأن مادة الخير والشر مادة مطاطة تقبل الزيادة والنقصان، فهذا الموضوع الخير. يحتوى على طاقة لا تتنـاهى من الخير ، وهذه الغريزة الطيبـــة طاقتها جبارة لا تتأثر بالعقبات . وذلك الموضوع الشرير والغريزة الشريرة طاقتهما قوية جداً ، وتتنازل ميزانية الطاقة فى الجبهتين حتى تصل الى المنطقة المتوسطة المترجرجة بين الخير والشر، ثم تميل الى الجبهة الثانية

حيث تشكل طاقة ضعيفة لهذه الجبهة ، ان الذى أدرك هذه الحقيقة الثابتة هو العقل الانسانى . . . ، والعقل الانسانى نفسه تتفاوت، ميزانية ادراكه أيضا ، فهناك عقل قوى الادراك ، يكتشف الاسرار باول إلتفات منه اليها ، وهناك عقل ضعيف لايدرك الواضحات إلا بعدعمليات شاقة ، ان هذا الضعف و تلك القوة انما نشاءا من العوامل المؤثرة فى العقل ، والافان العقل الانسانى طاقة مدركة زود بها الخالق أفراد البشر بميزان تتساوى كيفيته وكميته . فما وهب انسانا عقلا اكبر ولا اكثر مماوهبه الانسان آخر ، بل ان معمله لاينتج الا عقولا تتساوى فى الكم والكيف ، نعم الطاقة العقلية التى يهبها الله للبشر لها قابلية النمو والانحطاط ، فاذا استقبلها محيط عقلانى ونورانى ، نمت الطاقة وتضخمت وأصبحت تكتشف اسرار الحياة وتخرق حجب الطبيعة . وتزود المتاحف الانسانية باثارهـا الخالدة . . ، واذا استقبل الطاقة العقلية محيط جاهل مظلم فقدت نورانيتها شيئاً فشيئا حتى يصبح صاحبها أعمى لايدرك صلاحه من فساده ، ولا يميز بين خيره وشره ، فهو وان كان انسانا فى صورته الا انه فارق انسانيته فى حقيقته (فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور)

وهناك حقيقة اخرى . وهى ان فى الانسان كما قررنا غرائز تدعو الى الخير . وغرائز تدعو الى الشر ، فان اعتصم العقل عن عوامل الضعف والانحطاط ، أو استقبلته بواعث الخير والصلاح ، انبعثت الغرائز

الخيّرة . تبث عطرها ونورها فى آفاق الانسان ، فلا يعيش صاحبها إلا فى دنيا الخير والصلاح . ولا تظلله الا افياء العطر والنور ، اما اذا احتضنت العقل دوافع الشر ونوازع الجريمة ، فاوهنت بصيرته ، وحجبت بصره ، وغشته ظلمات الجهل والفساد ، وهاجمته نوبات الضعف والانحطاط ، اصبح قاصراً عن ادراك مقاصده ، وراح يتعثر فى طرق الحياة . انه يبتغى مهرباً من الشر وأين منه المهرب المنشود ، انه يطلب طاقة يقاوم بها نزعات الشر التى فى نفسه ، فلا يجدها ، وتنهار مقاومته للشر امام اندفاع نزعاته الجارفة ، حيث تقوده الى مهاوى الفساد ومواخير الاثم والجريمة ، وحتى أفكاره تصبح قاتمة سوداء ، لا تنبعث الا من الظلام ، ولا تستقر الا فى الظلام ، ولا تحب الا الظلام ، ومن ثم نرى فى أبطال الجريمة عباقرة تبتكر الجرائم . ونوابغ تخترع الجنايات ان هذه الذبذبة العقلية التى لا يتخلص منها كل فرد من النوع الانسانى ، والتى جعلت مقياس العقل فى منطقة مرتجة لا يثبت مؤشره على محطة خاصة ، فالمجرم يتمسك بالدليل العقلى ، والصالح يتمسك بالبرهان العقلى ايضا ، ان كلا منهما يستند فى اعماله ومسلكه على العقل ،

فبأيهما يقتدى العقل الساذج ؟

انه يبقى متحيراً بين المسلكين ، فكل منهما يدعوه الى مذهبه بدلالة المرشد العقلى ، فلأيهما يستجيب ؟

انه يعيش فى حيره من أمره ، فلا يمكنه السير الى الامام ، كما لا يمكنه الرجوع الى الخلف ، فماذا يفعل فى اموره المادية ، وبماذا يدير شؤونه الروحية ؟ ؟

انه لايجد لنفسه سبيلا يسلكه فى الحياة ، ان الارض تضيق بسيره فيتجه الى السماء مستنجداً اياها ، وهنا ينبعث اللطف الالهى ، وانبعاث اللطف فى مثل هذه المواقف واجب عقلى ، لان العقل نفسه فى حيرة من أمره ؛ وماذا تفعل القافلة اذا ضاع الطريق على الدليل ، فلابد له من مرشد تكون طاقاته العقلية اقوى من الطاقات المعهودة بين الناس ويتفضل الله عليه بالموجه المنشود ، ان الموجه الالهى يستمد اصوله التربوية من كليـــة لايعرفها الناس، ان دروسه تتنزل من عالم الغيب عالم كله خير ونور وعطر ، عالم تتمون من معادنه العقول ، وتستمدمن أنواره الافكار ، فالمرشد الالهى انسان كامل الانسانية ، لايجدالناقد فيه نقصا يأخذه عليه ،ولا يكشف المنظار فىوجوده عيبا يشينحياته، انه كامل فى كل شيء ، كما أن له من الطاقات مايتمكن بها ان يكمل النقص الذى تشكوه العقول الحائرة ، ان الرسول الالهى عقلا جبارا تستذل لارائه جبابرة العقول ، كما أن له روحا خارقة - روحا كما تعبر عنها (الفلسفةالالهية) (كلية الهية) بها يتمكن الرسول من قيادة البشر على اختلاف قواها وعناصرها ، ان تلك الروح تمتاز عن ارواح الناس بمخصصات ثلاثة

١ - إنها تتصرف فى الطبيعة وانظمتها الخفية . بالمعجزة -
٢ - انها تمتلك ملكة العصمة
٣ - انها ترتبط بعالم الغيب

ان النبي لا يمكنه ان يقيم نبوة الا على هذه الاسس الثلاث . . ، لان المادة الأولى . تخضع لها القوى المادية مهما عظمت واشتدت، لأن القوى انما تتجهز من الطبيعة وعناصرها الظاهرة ، فاذا وجدت قوة تتصرف فى طاقات الطبيعة فتبطل مفعولها ، أو تنقص أو تزيد . أو تعكس تأثيرها . ، فان المواد الطبيعية المجلوبة من الطبيعة تبقى عديمة الفائدة ، لان تأثيرها يتوقف على عدم تصرف هذه القوة المتصرفة ،ان النبي اذا تصرف بقوته النبوية فى الطبيعة فاوقف جهاز التأثير فيها ، أو عكس مفعولها ، او زاد أو قلل الاثر منها ، فان الطبيعة تبقى مرتبطة بطاقات هذا النبي الذى يقبض بيده زمام الطبيعة وما فيها من الاثار والخواص ، ان هذا التصرف الغير المتعارف يسمى (بالمعجزة)

والمعجزة ليست من المستحيلات العقلية ، كاجتماع الضدين ، أواجتماع المثلين، أوالدور ، أوالتسلسل، وهى المستحيلات التى سنشرحها فى موضوع المعاد، ان المعجزة ليست كذلك. وانما هى عبارة عن مخالفة الطبيعة فى سيرها المعتاد ؛ فان السكين الحادة من عادتها المتعارفة ان تقطع ماتمسه . اذا لم يعترضها مانع فى المس. او يعترض الممسوس ما يمنعه من تقبل القطع،

وان النار من عادتها المتعارفة ان تحرق الجسم الذى يلقى فيها ، اذا تمت لها علة الاحراق، وسببه هو جريان العادة فى السكين أن تقطع ، وفى النار ان تحرق، اما اذا تمكن الانسان من الاتصال بالجهاز العلى ، وبجهاز التأثير فتصرف فيه ، فابطـــل منه عاية الاحراق والقطع ، فان القطع والاحراق لن يتحققا قطعا ، فكما ان الخشب اذا ابتعد عن النار .أو تنآى. اللحم عن السكين ، أوصادف النار معدن غير قابل للاحتراق . أو السكين مادة غير قابلة للقطع ، فان الاحراق والقطع لا يتحققان قطعا ، كذلك لو تمكن الانسان من التصرف فى فاعلية النار والسكين ، أو تصرف فى قابلية الخشب واللحم، فأبطل الفاعلية من الأول والقابلية من الثانى ، فان القطع والاحراق لا يتحققان قطعا ، نعم ان التصرف فى الفاعلية والقابلية ليس من الامور العادية التى تعارف عليها الناس, ان الانسان تعارف مع نظم قضت العادة الجارية التى اختبرها فى تاريخه ، والتى أصبحت من الامور المتيقنة عنده ، بحيث انه لا يعرف غيرها ، ولذلك يبقى حائراً . أو متردداً . أومندهشا . لوصادف او شاهد غيرها ؛ ان الميت الذى مر زمن طويل على موته . لم تجر العادة على احيائه ، واعادة الطراوة الى الشجرة الجافة من دون اختبار لجذورها ، وسقيها الماء اللازم ليعد عنده من المستحيلات العادية ، وتكلم الحيوان الاعجم ، وتحرك الجماد كما يتحرك الحيوان الحساس باختياره ؛ والدخول فى النار الملتهبة من دون أن يلبس جهاز الوقاية .وغيرها من الامور الغريبة فى نظر الانسان

لتعد اموراً مستغربة جداً ،لأن العادة الطبيعية عنده جرت على خلاف ذلك ،اما الذى اتصل بالاجهزة التى تدير الاسباب والمسببات الطبيعية. وتمكن من التصرف فى قوانين الطبيعة واجتاز حدود العوامل المتعارفة الى ما وراءها من الآماد، فانه لايستغرب وقوع هذه الخوارق لو وقعت، لأنه متصل بالجهاز المحرك نفسه ، فهو يتصرف به فيتغير مجراه العادى، انه كالكيماوى الذى درس اجزاء المادة فتصرف فيها فأبطل مفعولها، أو درس المعمل واختبر اجزاءه وقطعه ،فعطل او غير حركته واثره، ان الانسان الذى يختاره الله لرسالته يزوده بطاقات خارقة تجعله متصلا بالجهاز المحرك فيتصرف فيه كما يريد ، انه يلزمه الاتصال بالجهاز ليعطل أو ليبدل تأثيره وأثره،لأنه يريد أن يقابل امته او جيله وليس له حزب يؤيده ، ولا جيش يحارب دونه ، ولا سلاح يتغلب على اسلحة الاعداء ، ولذلك يلزم على الله ان يوصله بالجهاز المحرك لعناصر الطبيعة ليتصرف فيه كما يريد ، وليقابل اعداءه مهما تكاثروا ،حيث سيتغلب عليهم وهو رجل واحد وهم امة أو أمم كثيرة ، لأنه سيتصرف بطاقاتهم التى تضمن لهم الغلبة ، فيبطل مفعولها ، بينما اعداؤه لايتمكنون من التصرف فى طاقته ولا يعرفون سرها المدهش ، ولذلك فهم ينكصون امامه وهم الوف وملايين ، ويتغلب عليهم وهو رجل واحد

فالمعجزة . حسب البيان الذى عرضناه . ليست من المستحيلات

العقلية ، وانما هى من الامور التى لم يتعاهدها الانسان فى تاريخه الطبيعى العادي ، وحسب الانسان الذى شاهد خوارق العلم وتصرفه فى النظم الطبيعية المتعارفة ، ان يدرك انه من الممكن ان تكون هناك طاقة اقوى من العلم وقدرته على التصرف فى النظام الطبيعى المتعارف ، ان تلك الطاقة انما يستمدها الانسان من عالم الغيب من مخازن السماء ، انها هى الطاقة الالهية التى يهبها الله لرسله ليقابلوا بها اممهم ، وليبلغوا بوسيلتها اليهم رسالته الخالدة .... ،

وأما المادة الثانية ـ العصمة ـ والعصمة ملكة نفسانية تصون صاحبها عن متابعة غرائز الشر ، كما تمنعه عن التقاعس من دعوات الغرائز الخيرة ، ان العصمة من العناصر المقومة لكيان النبوة ، لأن النبي الذى يفقد هذه الملكة ، لا يؤمن منه على نفسه . ولا على أمته ، ان احتمال تطرق الكذب الى كلام النبي ، او الخيانة . الى عمل النبي يجمد النبوة عن العمل تماماً . ، لان النبى يحمل الى الارض رسالة السماء ، وللبشر احكام الله فلو احتمل الانسان كذب النبى فى دعواه توقف الجهاز العملى ، لان الامة انما تتقبل اقواله . لانها ترديد لاقوال الله ، ولا يجوز للانسان الواعى ان يخالف الله فى اقواله ، فهو يتقبله كما تقبل الارض الجرداء بشائر الربيع ، إن كلام الله روح الحياة فى عالم الانسان ، ان الصدود عنه معناه صدود القافلة التائهة فى الصحراء

الجافة القاحلة عن الدليل الخبير ، فلذلك يستقبل الوعى الانسانى كلام الله ويطبق عليه حياته دون توقف اوترديد ، اما إذا احتملت الامة ان هذه الاقوال لم تتنزل من الله أو ان الرسول حرّف الكلام . فزاد اونقص منه شيئاً ، فانها لا تتقبله ، ان كلام الرسول فى مثل هذه الحالة يساوى كلام غيره ، وكما يحتاج كلام الناس الى دراسة واختبار، ليستيقن الانسان بصحته ومعقوليته كذلك كلا الرسول يحتاج الى الدراسة و الاختبار ، وبذلك يتوقف جهاز النبوة عن العمل ، وتضيع فرص الهداية والارشاد ، ولهذه الخصيصة شرطنا فى النبوة العصمة عن الكذب فى القول . والخيانة فى العمل والانحراف فى الرأى .

واما المادة الثالثة ، - الارتباط بعالم الغيب - فانها المادة الاولى لكيان النبوة ، حيث تتوقف عليها المادتان السابقتان ، لان المعجزة لا تصدر من النبي اذا لم يتصل النبي بعالم الغيب ، ان الطاقة التى تفجر المعجزة لا تمت الى الانسان بصلة ان الطاقات الانسانية محدودة الكمية والكيفية والطاقة التى تقوم بالمعجزة فوق أمادالقوى والطاقات ، انها طاقة تتصرف فى اجهزة الوجود وجود السموات والارض ، ان الله يكشف لنبيه النواحى الغامضة من الطبيعة فيريه مالا تراه الاجهزة المادية ، ويجعله يفعل مالا يفعله الانسان فى سيره المعتاد . كما ان الحيازة على ملكة العصمة . و تأمين الانسان قوله وعمله من الزلة والهفوة والخطأ والخطل ، والسهو والنسيان ، ليست من الامور المباحة الميسورة

للانسان ، ان الانسان ينسى ويسهو ويخطا ويزل ، ان هذه الاطوار من الامور العادية التي تعترى كل انسان مهما كانت طاقاته الانسانية انها حالات لايتمكن الانسان مهما جاهد فى سبيل التحرر عنها ان يتحرر منها ؛ ان السهو والنسيان حالتـان تعترى كل انسان فالتخلص منهما من الامور المستصعبة جداً بل هى من المستحيلات العاديه فى الاوساط العامه ، ولذلك يمكننا ان نقول : بان التخلص منهما لايتحقق الا بلطف خاص من الله وقد تلطف الله به على رسوله فعصمه عنها ، فالعصمة ملكة لاتكتسب بالمجاهدات ، وانما هى كرامة الهية يهبها الله لمن يختاره من عباده الانبياء والاولياء . . . ،

فالاتصال بالغيب روح المعجزه ، وحياة العصمة ، كما ان الاتصال بذلك العالم يفتح على النبى ابواب العلوم العاليه والمعارف الحقيقية ، وبوسيلته يكشف النبي الحجب ويرفع الاستار عن الحقايق والاسرار ، حيث يصبح عالماً من غير دراسة ، وعارفا من غير رياضة ، وحلالا للمشاكل الكونية بلا احتياج لاجهزة الكشف والتحليل . . . ،

ومتى حاز الانسان هذه المخصصات الثلاث يصبح عقله النظرى فى مأمن من الاوهام الباطلة . والاخيلة الفاسدة ، كما يصبح عقله الفعال ودستوره العملى للبيت والمجتمع مصونا عما ينافى الكمال الانسانى ، واخيراً يصبح هذا الانسان الرسول (راموزاً) مقدسا تقتدى

بتوجيهاته الفكرية والعملية امته ، ويهتدى بشريعة عصره وجيله - لوكانت شريعته محدودة الامد - وتكون شريعة الخلود ، ودستور الامم والاجيال الى الابد ولم تضبط بامد محدود .

ان الانسان الرسول هو الذى يصبح النجم الهادى للانسان الواعى. فيأخذ منه ما يحفظ به رابطته مع نفسه ، تلك الرابطة التى تربط الانسان بخالقه فى رعاية الهدف الذى ينشده خالقه ، ان الهدف الذى يطلب تشخيصه الانسان لايتعين الا بوسيلة الرسول الالهى فقط ، انه هو الذى يعين الهدف . ويوجه الانسان الى كيفية تطبيقه على حياته العملية . ان العبادة الفردية التى تفرضها الشرايع السماوية هى الهدف الذى يشخصه النبى لكل فرد من افراد الانسان ، ويفرض عليه رعايته فكريا وعمليا لان فى تحقيقه يستقر الضمير ويطيمئن الوجدان الانسان الواعى اذا عين الهدف وسار اليه واقنع عقله الذى لاتستقر اوهامه . الا اذا حقق الفرض الذى يطلبه منه الخالق ، لان تحقيقه شكر عملى لالطافه وأ نعمه التى لاتنفد . والتى يحتاج اليها مادام يستمد منه حياته ، وشكر المنعم واجب عقلى ، والشكر تختلف كيفياته باختلاف الظروف والاجواء ، فبأى كيفية يشكر هذا المنعم؟ ان طريقة شكره لاتعرف الامنه ، انه هو الذى يعينها . ويوجه الانسان اليها ، وقد تعين الشكر المطلوب بوسيلة النبى . الذى اصبح الوسيلة المتصلة بين الانسان والله ، ان النبى هو الذى وجه امته الى

الشكر وكيفيته المطلوبة ، فكانت العبادات ، وكانت الصلوات ، وكانت الاذكار والتسبيحات، وكانت الاعمال العبادية التى تفرضها الشرايع الالهية ، ان الانسان الواعى اذا قام بالشكر المطلوب منه استقر ضميره واستراح وجدانه وهدأت حياته

فالنبوة على ما قدمنا تحفظ حياة الانسان كفرد يريد ان يسير الى غاياته فى الحياة وكفرد يريد ان يستريح من اضطراب الضمير وعذاب الوجدان كما انها تحفظ حياة الانسان كعضو فى المجتمع الانسانى ولبنة فى البناء الاجتماعى .

ان الانسان اجتماعى الحياة ، لانحياته لا يمكن ان تدور بوسيلة طاقته الشخصية ، ان طاقته محدودة الاثر ، لاتنتج هذه الطاقة الا النزر اليسير مما تحتاجه حياته الواسعة ، ولذلك كان الانسان اجتماعى بالطبع ، ان الانسان لا يستغنى عن اللباس والطعام ، ولا عن البيت ولاعن غير ذلك من مقـــومات الحياة ، وبالطبع لايتمكن الانسان ان يجهز حياته بكل ما تحتاج اليه من المواد والوسائل ، ولذلك ولكى تتجهز حياته وجد المجتمع ليتعاون افراده على ان يقوم كل واحد منهم بما يحتاجه الاخر ، فحياة الفرد لاتتقوم الا بالمجتمع ، فاذا فقد المجتمع فقدت معه حياة الفرد ،

ان الحيوان لايحتاج الى مسكن خاص ، ولا الى طعام خاص ولا الى اللباس ، ان له من غريزته مايغنيه عن بناء المسكن الخاص فهو

يأوى الى ما تسوقه اليه غريزته الطبيعية ، وهو يأكل ما تتقبله تلك الغريزة فالكلب بفطرته يطلب اللحوم ، والكبش يطلب البقول ، والطير يطلب الحبوب والسمك يطلب الماء ، ان الغريزة التى جهزتها به القدرة الالهيــة ، تسوقه الى ما ينفعه ويغذيه ، فالحيوان لايحتاج الى لباس خاص انله من جلده ما يقيه شر الحر والبرد . . . ، اما الانسان المدرك . . ، فان ادراكه لايكتفى له بمطلق المأوى ، لانه يحس بانه مهدد ابدأ من اعداء لاتشعر ، من اعداء تحمل الموت والاذى لاشعوريا الى ما تصادفه ، فعليه ان يصون نفسه من شر اولئك الاعداء ان غريزته تدافع عنه والدفاع يحتاج الى وقاية والى حماية ، الى حصن يقيه . والى سلاح يدفع به شر الاعداء . بينما الحيوان يحمل سلاحه معه ، اما الانسان فلا بد لهان يستحصل سلاحه من الخارج ، والذى يجلب له هذا السلاح هو عقله الذى يهيأ له مختلف الاسلحة لمختلف الظروف والاحوال ، كما يحصنه بمختلف الاجهزة الوقائية. فالانسان وان لم يمتلك سلاحا طبيعاً ودرعاً من نفسه لنفسه ، الا ان الله زوده بعقل يخترع له كل ما تحتاجه ظروفه واحواله ، ان وقاية الانسان من الخارج حيث يستحصلها من المجتمع الذى يجهزه بكل ما تحتاجه حياته الواسعه ، فبيت الانسان يوجده الانسان ويحصنه بما يحتاجه بوسيلة المجتمع ، ولباس الانسان يتهيأ بوسيلة المجتمع ، فوقاية الانسان نفسه انما تستحصل من المجتمع ولا يقال بان الطبيعة أجحفت فى حق الانسان

وانصفت الحيوان ، انها حرمت الانسان الوقاية الطبيعية واعطتها الحيوان ، ان الطبيعة وان لم تعط الانسان وقاية داخلية . الا انها اعطته وقاية خارجية يجهزها له عقله . ان عقله يجهز له كل ما تحتاجه حياته بمختلف ظروفها واطوارها ، ولو حرمت الطبيعية الحيوان الاعجم وقايتها الطبيعية لكان ذلك نقصا فى الخلق ، وظلما للحيوان

اما الطعام وان كان الحيوان يشارك الانسان فى تجهيزه من الخارج إلا ان طعام الحيوان بسيط لا الى لا يحتاج التفكير ، إن الحيوان ينطلق انطلاقا طبيعيا الى موارد رزقه ، ولا يحتاج تحصيله الى اكثر من الاستجابة الغريزية لدعوة تلك الموارد ، اما الانسان فان غذاءه لا يتجهز الا بوسيلة المجتمع . . ، والخلاصة ان الانسان لا تقوم حياته العامة الا بتدبيره ، ولا يكفى فى ذلك تفكيره الشخصى ، لان الفرد لا يتمكن ان يقوم بتجهيز حياته بنفسه بل لابد له من ان يوجد الحياة الاجتماعية لتهيأ له لوازم الحياة ، واذا وجدت الحياة الاجتماعية احتاجت الى نظام يصونها من الانهيار

وسببه

ان الطاقات الجسمية والعقلية وان استوت فى مادتها الأصلية فى جميع افراد الانسان ، الا انها تفاوتت بواسطة العمل

والامراض الداخلية والخارجية ، فضعف البنية اوضعف لبيئة ، او ضعف الادارة ، اوضعف البيت اوضعف الشارع ، وبعبارة موجزة ضعف موارد الحياة العامة التي يعيش فى جوها الانسان ان هذا الضعف يؤثر ضعفا فى تفكير الفرد ، وضعفا فىالجسم ، وفى النشاط وفى العمل ، كماان قوة البنية والبيئة وغيرهما مما ذكرناشيئا منها توجب قوة فى تفكيره وفى عمله ، وبتفاوت الطاقات تتفاوت الاستفادة من موارد الحياة ، كما ان بتساويها يوجب الاصطدام والصراع مابين القوى التى تطلب تلك الموارد ، وهنا ينجم الخطر الذى يهدد الحياة الاجتماعيه بالانهيار ، والذى اوجب ايجاد القانون الحافظ لتوازن القوى فى المجتمع . . . ، ومشكلة ايجاد القانون مشكلة جدمستصعبة ، لان مفهوم العدالة مفهوم مطاط . يتلاعب به العقل كما تشاء اهواوءه فالحرب تثار انتصاراً للعدالة ، والسلم ينتشر انتصاراً للعدالة ، والثروة تتكدس فى جانب خاص باسم العدالة ، وتوزع على جوانب معلومة باسم العدالة . . ، فالعدالة مفهوم مطاط يستخدمها العقل المتفنن فى تطويرها حسب ماتريده احلامه واهواؤه . ، ولاشك بان المجتمع لايخلو من افراد تمتاز بالنبوغ العقلى ، كما وان اولئك النوابغ لها مقاصدها الشخصية اوالقبيلة اوالطائفية او الاممية وهنا تتصادم شعارات العدالة وتتصادم الطاقات الحاملة لتلك الشعارات ، فهذا يستخدم العدالة لاغراض طائفته . او بيته اوامته ، اولغرضه الشخصي

وذلك يستخدمها لما يقابلها ، وثالث يستخدمها لاهداف اخر ، وكل هذه الاطراف تستند على العدالة ومفهومها المطاط فى دعاوتها وحركتها ، وهنا نرى العدالة تتوارى لتظهر مكانها الدعايات الكاذبة . والاغراض المجرمة ، ولكن اصحاب تلك المقاصد لاتتنازل عن دعاواها وانها تنتصر للعدالة التى انتحرت بحراب هؤلاء الاعوان المزيفين ، وكمثل العدالة تكون العناوين الاجتماعية الاخر ، فالانسانية . . ، والحق . . ، والصدق . . ، والحب . . ، وغيرها من العناوين الرائعة التى تستخدمها العقول البارعة كوسائل تتحقق بها اهدافها الخاصة ، ولهذه الظاهرة الاجتماعية نرى المفاهيم الانسانية تختفى من المجتمع . ، انتطلع فى افاقها اضدادها وتنشر باسم الانسانية ومفاهيمها الخيرة نظما تبيد الخير والانسانية معا ، ومن هنا يقف المجتمع الانسانى متحيراً فى ادارة دنياه المرتبكه وتهدئة اوضاعه المضطربة ; وكلما حاول ان يحقق الانسانية ومفاهيمها الخيرة اصطدام بالاهداف المريرة التى تترامى اليها جهود المطامع والاهواء ولذلك بقيت المجتمعات الانسانية . مهددة بالانهيار لولم يتداركها نظام يوجه الطاقات المتحشدة فيها . ولا يمكن ان يكون النظام بشريا . لانه كما قررناه يسبب المنافسات والمناقشات التى تتخالف واهداف النظام ، ولذلك كله ولكى يحفظ المجتمع الانسانى من الانهيار والتلاشى . لابد له من نظام الهى . نظام سماوى يتلاطف به الله على الارض

وانبائها لتحفظ المجتمعات البشرية التي فيها . ، وبما ان هذا الموضوع موضوع ينحصر ايجاده بالسماء . لان الارض عاجزة عن ايجاد مثله . لذلك اصبح واجبا على الله ان يتلطف على الانسانية ومواكبها التائهة بارسال دليل يوجهها بنظام تخضع له الافراد والجماعات ، وتتحطم على صخرة رسالته وطاقاتها الهائلة دعايات الشر وطاقاته ، وقد حقق الله هذا الامل فارسل لهم الانبياء يحملون اليهم الرسالات السماوية ، مزودة بقوى غيبية وطاقات الهية ، تندك فيها قوى الانسان وطاقته

فالنبوة موضوع انساني ينحصر ايجاده بالله فقط ، لان البشر على اختلاف طاقاته وطبقاته . يعجز عن ايجادها ، والنبوة كما قلنا : لا تتحقق الا اذا كانت في صاحبها صفات ثلاثة . . . ،

١ ـ قدرة تتمكن من التصرف في الطبيعة وانظمتها الجارية

٢ ـ ملكة تعصم غرائزه وافعاله عن الخطاء والسهو والنسيان

٣ ـ اتصال بعالم الغيب

وبما ان هذه الصفات امور ترجع الى النبي نفسه . ولا يمكن ان يستخبر عن وجودها غيره ، لذلك وجهتنا اعلام الهدى وهداة الانسانية الى ظاهرة تتحقق فيها النبوة . . ، حيث قالوا ان النبي يعرف بامرين

١ ـ ادعاؤه النبوة

٢ ـ قيامه بالمعجزة

فادعاؤه للنبوة امر يسمعه منه كل احد ، ان كل انسان يتصدى

اليه ، يسأله عن دعوته و مغزاها ،فان اجاب : بانه نبي ارسله الله لهداية البشر ..، سئل منه الدليل على نبوته، وينحصر دليله بالمعجزة، فان قام بالمعجزة ،وخرق نظام الطبيعة المعتاد ، فابطل الاحراق من النار و الاغراق من البحر ،من دون ان يستند ابطاله الى مادة طبيعية ، وذلك بان يلقي في النار مادة يتعطل فيها أثر الاحراق،او يطلي رجله بمادة تعصمه من الغرق او يلبس حذاء يصونه من الغوص او غير ذلك من المواد التي تسلب من الطبايع اثرها ..، لان ذلك من الامور الممكنة التي يتمكن منها كل من وجد اليها سبيلا . وسبيلها يتوقف على العلم بكيفية استعمال تلك المادة وبعناصرها وأثرها..،اما المعجزة.فان سبيلها ينحصر بالعالم الالهي فهو الذي يختار رسوله ويزوده بطاقات خارقة تتمكن من التصرف في النظام الطبيعي المعتاد تتصرف فيها بالتصرف في اجهزتها المستورة عن امكانيات البشر ، فان ذلك الموضوع لا يحققه الا الذي يختاره الله لرسالته أو ولايته . . . ،

والخلاصة ان النبي انسان يدعي النبوة . ويثبتها بالمعجزة ،وتوالت الانبياء من السماء تهدي الانسان ، وكان عـــددهم حسب النصوص الواردة عن مهابط الوحي مأة وأربعة وعشرين الف نبيا، خاتمهم نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

النبوة الخاصة:

نبوة محمد ﷺ

والدليل على نبوته ادعاؤه النبوة ، وصدور المعاجز الكثيرة منه وان موقف سيد المرسلين من قومه ومن العالم ليعد معجزة باهرة تغنينا عن غيرها . ، فقد ولد فى عصر يموج بالفتن والدماء ، وفى محيط يفيض بالخرافات والاوهام ، ولد والعالم تحكمه دولتان . . ؛ دولة الفرس فى الشرق ودولة الرومان فى الغرب ، وكانت الحروب بين هاتين الدولتين قد انهكت القوى وأبادت الامم ،وكانت المظالم والشرور تتحكم فى كلتا الدولتين، فالرؤساء يلعب بهم الزهو والترف . والفخفخة والاسراف والتنوع فى الملاذ والتفنن فى الشهوات ، وكان شره هؤلاء لايقف عند حد . . ، فكان القوى يتفنن فى استلاب اللقمة من الضعيف ،والعاقل لايفكر الا فى الاحتيال على الغافل ، ولذلك عم الفقر والذل والخوف والاضطراب فى المجتمعين الشرقى والغربى ، واصبحت الامتان الفارسية والرومانية فى حروب داخليـــة ، ومصائب موضعية ، تقيم الحكومة والشعب وتقعدهما . . ،

وأما محيطه الخاص . فقد كان قبائل متخـــالفة النزعات ، خاضعة للشهوات لاتفخر الا فى سفك الدماء وسبى النساء ، وسلب الاموال ونهب القوافل ، وكانت الخرافات تعشعش فى مجتمعها ، فالالهة مواد تحرق

و توكل، والبنات والاولاد توأد أو تقتل واللصوصية والاغتيال من عناوين مجد القبيلة وشرفها، وفى مثل ذلك الزمان . . وفى مثل هذا المحيط ولد محمد بن عبد الله ، كما يولد الفجر فى صميم الظلمات فينشر امواجه المنيرة فى تلك الظلم المخيفة .

ولد فى يوم عشرين ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح . . ،ولد يتيما مات أبوه قبل ولادته ،وماتت امه وهو لم يتجاوز السادسة من عمره، وكفله جده عبد المطلب سنتين توفى بعدهما ليكفله عمه ابو طالب الفقير فى معاشه ، فعاش فى جوه الضيق ، لم يقم على تربيته مهذب ، ولا ثقفه مؤدب ، بين اتراب ترعاها الجاهلية ،وعشراء تقتادها الوثنية واولياء من عبدة الاصنام ، وأقرباء تخضع للاوهام .، نشأ محمد (ص) فى هذه البيئة كما تنشأ النبتة الوحيدة فى الصحراء القاحلة . . ، نشأ نسيج وحده ينمو ويتكامل فى بدنه وفى عقله . وفى فضله وادبه ، حتى عرفه محيطه بانه الصادق الامين . . ، نشأ يتيما لا ترعاه عناية اب ،ولا تعنى به رعاية ام ، ومع ذلك كان الكمال ينمو بنموه . ، ويترعرع بترعرعه ، نشأ يعبد الله وحده فى عاصمة الوثنية ، مسالما لمحاربيه فى عاصفة الشغب والانقلاب ، صحيح العقيدة فى منطقة الاوهام والخرافات، مطبوعا على الخير فى محيط الشر والفتنة . . ، حتى بلغ من عمره اربعين سنة . فبعثه الله نبيا لامته ، وفجرا لعصره وكافه الرسالة العظمى . رسالة الكمال الانسانى ، فطلع الى قومه كما يطلع الفجر من افقه ليواجه أمواج

الظلمات ، خرج ينادى بتوحيد الالهة ، والتى كانت على كثرتها تقود العواطف عواطف الجماهير على اختلاف مسالكها ومشاربها ، وكانت صرخته المدوية ضربة قاضية على احلام جماعة مجرمة كانت تستغل عواطف الجماهير باسم رعاية الاصنام كما كانت صدمة كبرى للكنيسة واحلام اربابها ، لأن الكنيسة احلت الحقيقة الالهية فى ثالوثها المقدس - الاب - والام - وروح القدس ، ان التوحيـــد الاسلامى يناقض التثليث النصرانى فى الذات وفى الوجود ، فذاته المقدسة احدية لا تقبل التثنية ، كما ان وجوده الاقدس واحد لاشريك له ، ان هذه الصرخة الرهيبة كانت معولا جباراً يهدم هيكل الاحلام فى جيله - وثنيه ونصرانيه ، فاستفز عناصر الشر والفتنة فيه على نفسه ، ومع ذلك وقف يتحدى الجيل وحده ، وبالطبع كان تحديه العالم بهذه الدعوة وهو مفرد لا مساعد له ليعد معجزة خارقة لمواقف البطولة فى التاريخ الانسانى ، ان نفس تحديه ليعد معجزة كبرى من معاجزه المقدسة . . ، كما ان تعاليمه العالية واحكامه الجامعة تلك الاحكام التى تتكفل سعادة الانسانية فى روحها ومادتها لتعد معجزة خالدة ثانية لا يمكن ان يتردد فى اعجازها انسان منصف ، ان احكامه العامة الجامعة لكل موارد الانسانية ومصادرها لا يمكن بحسب الطاقة المتعارفة ان تصدر من رجل واحد ، رجل لم تخرجه جامعة . ولم تحتضنه كلية ، ولم تتبنى تربيته حكومة مقتدرة ، رجل فقد اباه قبل ميلاده ، وفقدامه قبل كمال وعيه ، والتزم برعايته من يفقد المواد الأولية من الحياة ،

ورباه محيط يموج به الجهل والاثم والخرافة . . ، ان صدور هذه الاحكام من هذا الرجل فى هذه الظروف لتعد معجزة انسانية تحار فى فهمها العقول والمدارك ، كما وان قرآنه العظيم وكتابه الكريم . ، ذلك الكتاب الذى لاريب فيه هدى للمتقين ، والذى يشرق الاعجاز في الفاظه كما يشرق فى معانيه . كما يشرق فى اسلوبه ، كما يشرق فى جميع آفاقه ، ان الانسان الواعى ليشاهد الاعجاز فى جميع نواحيه . . ، ان هذا الكتاب الخالد هو المعجزة الباقية التى يفنى الزمان ولا يفنى اعجازه ، ان حياته ومواقفه وكتابه كل واحدة من هذه الروائع لتعد معجزة خالده تسجد لعظمتها عباقرة الاجيال ونوابغ القرون . . ، ولو اردنا منه المعجزة بمعناها الذى شرحناه لرأينا الاحاديث المتواترة عن رجالات الاسلام على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم تشهد بصدور معجزات ربما تتجاوز الالف فى عددها على يد خاتم الأنبياء ، ان هذه المعجزات تؤيد دعواه النبوة بلا شبهه ولا ارتياب .

ان محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان نبيا ، لأنه ادعى النبوة وايدها بمعاجزه ، نبيا لا تنتهى آماد نبوته لأن احكامه لا يتناهى امدها ان الاسلام دين الخلود ، لأن الانسان كلما توسعت مداركه واتسعت معارفه ازداد ايمانه بالاسلام وعظمة احكامه وتعاليمه ، ان الاسلام خاتم الاديان كان محمداً (ص) خاتم الانبياء .

المعـاد

المعاد

هل يمكن ان يعود الانسان الى الحياة بعدما يموت ؟ !

انه سؤال ترتبط جذوره بتاريخ الانسان منذ اول نشأته ، فلقد وجد الانسان مفكرا ، وكانت فكرة العودة الى الحياه تراوداجداده الاول ؛ ولذلك راحت طائفة منهم تفكر فى هذه العودة تفكيراً متعمقا ؛ وقد أحاله كثير من الناس ، لان الحياة اذا انتهت ينتهى معها الانسان . ويصبح ذلك الموجود المتناسق الاعضاء ، القوى العضلات ، الداهية فى افكاره واعماله ، يصبح ذلك الموجود الذى كان يسمى انسانا ، والذى كان يحدّث نفسه كل يوم باكتشاف جديدمن اسرار الحياة ، واختراع جديد للذة والاستمتاع ، ذلك الانسان الذى كان لايرى فىعالم الطبيعة موجودا اسمى ولا اقوى ولااولى بالحياة منه ، ذلك البطل الذى كان اذا سارسارت فى ركابه مواكب الامنيات ، ان ذلك الموجود الحى اصبح جيفة ملعونة وجمادا عفنا ، انه رجع الى اصله ، فصار صلصالا لآسنا وعاد مادة لا تفيد الا لتسميد الارض فقط ، او بعدما رجع الى اصله وعاد جماداً فهل يمكن ان يعود الى ماكان .

انه سؤال مدهش . ، سؤال ربما يخجل من القائه انسان واع ، لأنه لم نجد ولاوجدت الاجيال المتقدمة علينا الى العهد الاول من تاريخ الانسانية.

لم نجد ان انسانا مات ثم عاد الى الحياة بعد موته ،

فكيف نستسيغ هذا السؤال ؟

وكيف يصح ان يفكر فيه انسان عاقل ؟

ولكنى مع ذلك ايها الاخوان احب ان اتجاوز الحدود المعقولة ، والقى عليكم هذا السؤال الشاذ مع الاعتذار من كل واحد منكم ، لانني فى مقام الفحص والتمحيص ، وللباحث ان يخترق السدود والحدود فى سبيل تكميل بحثه ، ولذلك جئت اسألكم واقول : هل يمكن للانسان ان يعود الى الحياة بعدما يموت؟

والجواب عن هذا السؤال يدور فى جهتين

الاولى: فى امكان العودة عقلا بمعنى انه هل هناك مانع عقلى من العودة، بحيث تكون العودة من المستحيلات العقلية ؟

الثانيه : هل يمكن رفع الموانع العقلية التى تقع فى طريق العودة الى الحياة بعدما يموت الانسان ؟

اما الكلام فى الجهة الاولى ، فان تفهمه يتوقف على تفهم المستحيلات العقلية ، المستحيلات العقلية حسب ماضبطها الفلاسفة والمحققون اربعة

١ ـ اجتماع النقيضين

٢ ـ اجتماع المثلين

٣ ـ الدور

٤ ـ التسلسل

اما اجتماع النقيضين ، فهو ان يجتمع النقيضان فى شىء واحد ، كأن يكون وقت واحد ليلا ونهاراً معاً . والنقيضان هما اللذان لايجتمعان ولا يرتفعان ، كالمثال المذكور ، فان الزمان اما ان يكون ليلا او نهاراً ، فاجتماعهما كارتفاعهما محال وجدانا ، ان العقل بعد دراسته لموضوع التناقض حكم بان التناقض كالعدد، فكما ان العدد لايخلو اما ان يكون فرداً او زوجاً ؛ فلا يرتفعان عن عدد ولا

يجتمعان معا فى عدد، كذلك الليل والنهار بالنسبة الى الزمان الذى لا يخلو من احدهما ، فانه كما لا يمكن ان يخلو الزمان من احدهما كذلك لا يمكن ان يجمع زمان واحد كليهما، فيكون هذا الزمان المعين المشخص ليلا و نهارا معا ، ان التناقض من المستحيلات العقلية .

واما اجتماع المثلين ، فهو ان يجتمع عنوانان متساويان بكل النقاط والجهات فى موضوع واحد ، فيكون العدد مثلا زوجا وزوجا، زوجيتان فى ناحية واحدة ، ان معنى اجتماع المثلين اجتماع وجودين لموجود واحد ، فيكون لموجود واحد وجودان فى ناحية واحدة وفى زمان واحد ، ان اجتماع المثلين من المستحيلات العقلية .

واما الدور . فهو ان يكون شىء واحد علة لشىء آخر ، ومعلولا لذلك الشىء فى الموضوع الذى كان له علة فيه ، ان معنى عليته تقدمه وجوداً على المعلول ومعنى معلوليته تأخره وجوداً عن المعلول ، فاذا امكن للشىء ان يكون علة ومعلولا لمعلوله فقد امكن للشىء ان يتقدم على نفسه اذا تصورناه علة بينما هو معلول او يتأخر عن نفسه اذا تصورناه معلولا بينما هو علة، ان الدور من المستحيلات العقلية . . .

واما التسلسل ، فهو ان نتصور شيئا تمتد علله ومعاليله الى مالا نهاية اى لا يكون لعلله ومعلولاته ابتداء اصلا ، فهو يصعد فى علله ومعاليله ويصعد الى مالا نهاية ، وذلك محال عقلا . ، لانه اذا انتفى الأول منه انتفى الاخر منه لان وجود الآخر متوقف على وجود الاول ، فاذا لم يكن له اول لم يكن له آخر ، ان وجود الاثنين متوقف على وجود الواحد ، فاذا انتفى الواحد عنه انتفى الاثنين عنه ايضا ، وهكذا فان

المعلول الاخير يتوقف وجوده على وجود العلة الاولى ، فاذا انتفت العلة الاولى انتفى المعلول الاخير ايضا ، ولما كان المعلول الاخير موجوداً وجدانا ، تكون العلة الاولى موجودة وجدانا ايضا فالتسلسل باطل ، انه من المستحيلات العقلية كما عرفت .

وهنا نتساءل منك ، ونقول لك هل العودة الى الحياة بعد الموت احدى هذه المستحيلات ؟ . . ، اولا ؟ ؟

بالطبع انك ستجيب ، لا ، لان العودة لم تكن احدى المواضيع الاربع التى تتشكل منها المستحيلات العقلية ، فاذا انتفت عنها العناوين الاربع انتفت عنها الاستحالة العقلية . . ،، نعم كلما هنالك لم يعرف انسان انسانا عاد الى الحياة بعد مفارقته الحياة ، فالامتناع المتوهم هو الامتناع العادى ان الامتناع العادى يكون كطيران الانسان الى الفضاء قبل تمكن الانسان من الطائرة ، او كاجتياز المادة الثقيلة منطقة الجاذبية قبل تاريخ الصواريخ اوكاستماع الانسان صوت من يخاطبه من مسافات بعيدة قبل عهد التليفون ، وهكذا يكون العودة الى الحياة من الممتنعات العادية ، التى لم يعتد الانسان ممارستها قبل هذا التاريخ ، وكم عندنا من الحقائق العلمية لم يتعارف معها الانسان الى الآن ، وينتظر الانسان ان يعرفها بوسيلة العلم واكتشافاته فى مدة قريبة او بعيدة ، ان موضوع العودة من الحقايق الكونية التى يحاول الانسان ان يتعرف بها ولو بعد عشرات القرون ، فهو من الممتنعات العادية ، لا الممتنعات العقلية ، والمستحيل هو الثانى دون الاول ،

وبعد ما استبان لنا امكان العودة ، لانه اذا انتفت الاستحالة ثبت

الامكان او الوجوب ، والوجوب يحتاج الى دليل يثبته ، اما الامكان فلا يحتاج ثبوته الى دليل ، ولذلك قلنا بان العودة من الممكنات العقلية، واننا بعدما عرفنا امكانها نحاول ان ندفع الشبهات الواردة على العودة ، منها شبهة اعادة المعدوم وهى : ان الانسان ينعدم وجوده بعدما يموت ، فاذا انعدم كان معاده ثانيا معاد انسان آخر لا يرتبط بالانسان الاول بوجه من الوجوه ، لان انسان الاول زال واندثر ، وهذا الذى عاد هو انسان جديد لا يرتبط بالانسان الاول مثاله: انك اذا نظرت صورتك فى المرآة ثم حولت نظرك عنها ، ثم نظرت لها ثانيا فان الصورة الثانية التى تنعكس فى المرآة غير الصورة الاولى وجوداً ،ان الوجود الثانى وجود مستقل لا يرتبط بالوجود الاول الا بالمشاكلة فقط، فكيف تقولون بعودة الانسان بعد انعدام وجوده الاول ، ان الانسان الجديد غير الانسان القديم وجوداً وبانعدامه ، يتلاشى موضوع يوم البعث وما فيه من الحساب والعقاب والثواب ؟ ؟ !

ولكى يظهر الجواب نمهد لكم هذه المقدمة . وهى . ان الانسان موجود مركب من جسم وروح . . ، من جسم تنظمه اجهزة مختلفة العمل والاثر . . ، ومن روح تجهز تلك الاجهزة بمادة الحياة والحركة ، بحيث تتوقف اعمال تلك الاجهزة لولم تسعفها الروح استمراراً بطاقاتها المسحورة ، ان الانسان يصبح جماداً لا يحس ولا يشعر لو فقد الروح ، لان اجهزته المادية لا تعمل لتنتج الا بطاقات الروح ، تلك الطاقات التى لم يعرف العلم الى الآن شيئا منها ابداً ، ومع جهل العلم بالروح لا يمكنه انكارها، لان آثارها الواضحة تلمس الانسان وجودها المجهول ، فالروح

موجودة لا ينكر وجودها الانسان ، وان جهل العلم حقيقتها ومادتها ، ان هذا الموجود الذى نجهل حقيقته ، والذى تظهر آثاره فى تحريك الاجهزة التى يتركب منها بدن الانسان ، بحيث لو فارقت الروح البدن لتوقفت اجهزته ، ولاصبح الانسان المتحرك الحساس جماداً ساكناً ، لايحس ولا يشعر .ولا يتحرك ، نعم ان هذا الموجود الذى تنتمى اليه انسانية الانسان ، والذى لم يكن مع هذا الانسان المعين ، ثم كان ، ثم يفارقه ، ليترك الانسان جماداً ، ان الروح اختلف العلماء فى اندثاره ، وانه هل تنتهى طاقاته فينتهى معها الانسان ، فنهاية الانسان تدل على نهاية طاقاته الروحية ، او ان الروح ينتهى الى عالم ارفع من عالم الانسان أنزلته العناية الالهية الى هذا الفرد من الانسان ، ثم استخرجته العناية نفسها من البدن العنصرى لتحله القالب المثالى ، ثم تعيده يوم البعث الى البدن العنصرى نفسه ، انها فروض ونظريات نرى البحث فيها لا يسمن ولا يغنى من جوع ، لان البحث عن موضوع مجهول الحقيقة والمادة ، تطويل من دون طائل ، ان مادة الروح مجهولة وحقيقتها غير معلومة ، والشىء الذى لا نعرف حقيقته ولا مادته ، كيف نبحث عنه ، نعم اننا ندرك ان الروح سر حياة البدن وحركة اجهزته ، وان الحياة تفارق البدن اذا فارقته الروح ، ان هذا المعنى هو كلما نحسه وندركه ، اما ما وراء ذلك فان البحث فيه فى غير مدرسة الغيب بحث فارغ لااثر له ولا نتيجة ، فلذلك نتجه فى بحثنا عنها الى اساتذة السماء ومدارس الغيب ، فنأخذ منها ماهم اعرف بها منا ومن طاقاتنا ،

ويضحكني قول من يقول : ان الروح شعلة الشمعة ، فبانتهاء الشمعة

تنتهي طاقات الروح كما تنتهي الشعلة بانتهاء الشمعة ؛ ان تشبيهه بعيد عن مقصده ، لان الشعلة تنتهي حينما تنتهي الشمعة، أما ابداننا فانها تبقى كما كانت بينما ارواحنا تفارقها ، ان البدن موجود بكل اجزائه واعضائه والروح مفقودة عنه ان الشمعة موجودة والضوء مفقود ، فكيف نؤمن بان الروح كالضوء والبدن كالشمعة ، ان الضوء والشمعة ينتهيان معا ، اما البدن فهو باق ساعة الموت على ماكان، بينما الروح لانجد لها اثرا في هذا البدن الموجود . . ، ان وجود البدن ، وفقدان الروح يدل على ان البدن موجود مستقل عن الروح ، والروح كذلك موجود مستقل عن البدن اتحدا فكانت الحياة ، وافترقا فكان الموت . . ، ان هذه الحقيقة يدركها كل انسان يتجه الى دراسة الانسان - بدنه وروحه - ، اننا نشعر ان الروح فارقت البدن لكننا لاندري عن مصير الروح .

فهل رجعت الى محلها الارفع كما يقول ابن سينا ؟

او انها انتقلت الى محل آخر كما يقول غيره ؟

اننا لاندرك ذلك ، نعم اذا درسناها على ضوء الدين والاشعة التي القاها النبي .(ص)، والائمة الهداة (ع) على هذه الناحية ، امكننا ان نصل منها الى نتيجة مقنعة لشعورنا الديني ، ولذلك اعتقد بان دراسة مابعد الموت وما قبل الحياة لاتنتج الا اذا كانت على ضوء الدين وآثاره .

اذا عرفنا هذه المقدمة ، وان البدن يشكل الاجهزة ، وان الروح تبعث طاقة الحياة في البدن واجهزته ، وعرفنا ايضاً انهما يتفارقان

بعد الموت . ويصبح البدن بمفارقة الروح مادة قابلة للتلاشيء فيتلاشى، ومعنى التلاشي هو العدم والفناء . فاذا انعدم البدن كيف يعود بعد العدم ، ان اعادة المعدوم محال عقلي كما هو مقرر فى محله . . ،

ويجاب عن هذه الشبهة : بانه كما تقولون ان الانسان يتركب من جسم وروح ، من روح خالدة ، ومن جسم يبلى ، ولكنه لايفنى ان الجسم بجسميته باق ، فالجسم لم ينعدم ، وانما تحول الى هيئة اخرى ، الى نبات فى حديقة ، او جماد فى قصر ، او حيوان فى مسرح ؛ ان الجسم بكميته وخصائصه موجود فى هيئته الجديدة ، انه لم ينعدم ليكون اعادته اعادة للمعدوم وهو مستحيل عقلا ، ان المعدوم هو ما يقابل الموجود ، ومعنى تقابله للموجود ان لايكون له وجود اصلا ، ان معدومية المعدوم بانتفاء الوجود عنه ، وما دام هناك للشيء حصة من الوجود لايكون معدوماً ، وان هذا الانسان الميت لازال جسمه موجوداً ، وان كان وجوده الجديد له هيئة اخرى ، انه كمرآة تنكسر فتصهر مادتها الزجاجية لتصنع منها كأسا بلوريا ، ان مادة المرآة لم تنعدم وان تحولت الى كأس ، فهي موجودة ،وهكذا جسم الانسان لم ينعدم وانما تحول الى جماد او نبات او حيوان فهو باق لم ينعدم، واذا كان موجوداً لامانع من اعادته الى هيكله الاول ، فهو هو يعود الى ماكان عليه ، انه هو بذاته وبمادته ، فهو المحاسب وهو المثاب والمعاقب .

وهناك شبهة ثانية تعترض طريق المعاد ، يسميها الفلاسفة بشبهة الآكل والمأكول ، وبيانها ان الانسان ربما صار جزءاً من حيوان برى

او بحرى او جوى اكل جيفته ، فتركب منه عضو للآكل ، او ربما صار جزء من انسان آخر ، وذلك بان يتكون من جيفته نبات تكون منه بدن حيوان اكله الانسان فتكون منه عضو ، فاذا قلنا بالمعاد فاما ان نقول بمعاد الانسان الاول الذى صار جزءمن الانسان الثانى ، فيلزم منه اعادة الانسان الاول دون الثانى او نقول باعادتهما معاً ، فيعود الانسان الثانى مع الانسان الاول ان الانسان الثانى يعود وهو نصف انسان ، لان نصفه الاخر كان من الانسان الاول الذى عاد بتمامه. وربما كان الانسان الاول مؤمنا يعود لاستلام ثوابه بينما كان الانسان الثانى فاسقا او كافراً ، يعود لينال عقابه ، فاذا عوقب الانسان الثانى بتمام اجزائه يلزم معاقبة الانسان الاول المؤمن فى ضمن معاقبة الانسان الثانى الكافر ، واذا عوقب بجزئه الذى لا يرتبط بالانسان الاول يلزم معاقبة جزء من الانسان ، جزء ربما لم يرتكب هذا الجزء الجريمة او الاثم ، كما ان الانسان الاول ربما شكل أكثر اعضاء الانسان الثانى ، بحيث لو انفصل عنه لما بقي من الانسان الثانى شيء مذكور ، هذا اذا كان الانسان جزء من انسان ، اما اذا كان جزء من حيوان ، فانه ان عاد الانسان الاول انما يعود هو والحيوان الاعجم الذى سيكون ترابا ، فبعودة الانسان الذى هو اكثر الحيوان يعود الحيوان الذى لا حساب له ولا عقاب ولا ثواب يعود للحساب وللعقاب وللثواب وهو باطل ، فالقول بعودة الانسان مع هذه الشبهة المشكلة قول مشكل .

والجواب عنها : ان شخصية الانسان وتعينه ، انما هو بصورته لا بمادته ، تلك الصورة التى بها يتميز الانسان عن غيره ، يتميز زيد عن

عمرو ، وتتميز المرأة عن الرجل . ان تشخيص الانسان وتمييزه انما هو بالصورة لا بالمادة . نعم لا بالجسم بل هو بالصورة. والصورة انما تتقوم بالنفس الناطقة التي لا تفنى ولا تزول ولا تكون جزء من حيوان او انسان آخر . ان النفس الناطقه لا يفارقها تشخصها بل كل نفس لها تشخصها وتعينها الخاص . ان هذا التشخص الذى لا يؤكل ولا يكون جزء من حيوان او انسان لا يبلى ولا يفنى . وإنما ينتقل من بدن الى آخر . ويسافر من وطن الى وطن ثان . . . فالذى يفنى انما هو البدن الذى لازال يتقلب فى الفناء منذ وجوده فى الحياة الى ان مات . فبدن الانسان لا يستقر على مرفأ خاص من الوجود بل هو ينتقل فى شواطىء العدم من عدم الى عدم حتى يقف على مرفأ الموت . حيث يتلاشى ويندك فى بدن انسان او حيوان آخر . او يكون سماداً لحديقة . او حجراً فى بناية او غير ذلك . ان الجسم الانسانى يعيش فى مدارج الفناء منذ نشأته الاولى . اما تشخصه الذى لا يفارق شخصه فهو لا يفارقه فى الدنيا والآخرة . لانه يتقوم بشىء لا يفنى ولا يتغير . انه يتقوم بنفسه الناطقة التى لا تنعدم ولا تتغير . وانما تنتقل من وطن الى وطن . ومن لباس الى لباس . والوطن واللباس لا يشخصان الانسان ولا يميزانه . وانما تشخصه بصورته الخاصة التى تقوم بالنفس المجردة عن الملابسات .

ودليل تجرد النفس . وانها غير البدن : انك تشير الى نفسك وتقول : (انا) ان هذه (الانا) هى غير بدنك الذى تشير اليه بلفظة (هو) فتقول : هو بدنى هو وجهى . هو هيكلى ، هو شعرى ، هو

بشرى ، ولا شك بان المشار اليه بلفظة انا غير المشار اليه بلفظة هو ، والاصح ان تشير الى بدنك بلفظة انا ، والى نفسك بلفظة هو فالذى صار (انا) غير الذى صار هو ، ومعنى ذلك أن البدن غير النفس ، ان الانسان يدرك مادة بدنه واعضائه بحواسه ويشير اليها باعضائه ، فيلمس رأسه ويرى يده ، ويشم جسمه ، كما يدرك حقايقها بفكره ، اما نفسه فلا يمكن ان يدرك مادتها بحواسه ، كما لا يمكن ان يدرك حقيقتها بفكره .

ان الانسان وهو فى شيخوخته يدرك بانه هو هو فى طفولته وشبابه ، انه وهو شيخ كبير يقول : انا ذلك الطفل الصغير ، (فانا) فى سن الشيخوخة هى نفس (الانا) فى سن الطفولة ، بينما يقطع بان بدنه الطفولى قد زال بجميع اجزائه وحل محله بدن لا يرتبط ببدنه الطفولى بوجه من الوجوه ، ان انا لم تتغير بينما بدنه قد زال تماما وحل محـــله بدن آخر ، فانا غير البدن . ، ان انا هى تلك النفس الناطقة المجردة عن الوضع والزمكان ، بينما البدن لا يخلو عن تلك المقولات الثلاث .

ولكى يظهر تجرد النفس ظهوراً كاملا . . ، اعرض عليكم هذه الحقيقة العلمية ، انك تقول : بان محمداً هو الانسان ، والانسان هو الكلى القابل للانطباق على مالا يتناهى من الافراد والمصاديق ، بمعنى ان الانسان لا ينحصر فى شخص معين ولا زمان معين ولا مكان خاص ولا وضع مخصوص ، ان الكلى لا يحصره الزمان والوضع ، فاذن لا يمكن حمل الانسان الكلي على الفرد من الانسان المحصور

بالزمان والمكان والوضع، وبما انه يصح هذا الحمل قطعا ..، لانك تقول محمد انسان ، ان صحة الحمل تدل على ان المحمول عليه شيء لا يضمه الزمان ولا يحصره الوضع ، فالمحمول عليه لا يمكن ان يكون بدن محمد ، لان بدنه محصور بالوضع والزمكان، واذا امتنع ان يكون المحمول عليه هو البدن ، وجب ان يكون المحمول عليه شيئا يتجرد عن هذه الحدود ، ان المجرد عنها والمتحرر منها ليس الا النفس الناطقة، التي تفرض بوجودها وجود الكلى ، فهى . هو ، ان المحمول عليه هو المحمول ، ان الانسان الكلى هو النفس الناطقة المتحررة عن اغلال الزمان والمكان والوضع . . ،

واعتقد بان ماذكرته من الادلة يغنينا عن سرد غيرها ، فلذالك اعبر الادلة المنطقية ، لاثبت تجردها دينياً ، ان القرآن الكريم يصرح بتجرد النفس بقوله تعالى : (ونفخت فيه من روحى) ان الروح المنسوبة الى الله الذى لا تحده الحدود ، ولا تقيده القيود لا يمكن ان تكون غير مجردة عنها ، انها منسوبة الى الله ، فهى من الله الذى يتعالى عن المقولات ، فهى اذن مجردة . والروح ليست الا النفس الناطقة التى نتحدث عنها ، والتى لا تفنى ولا تكون جزء من بدن انسان او حيوان ، وانما الذى صار جزء من بدنها هو بدنه الذى لم يكن الا مرسحا لتمثيليات النفس الناطقه ، والا لباسا لبسته مدة من الزمن فى هذه النشأة ثم خلعته بعد انتهاء تلك المدة لتلبس قالبها المثالى البرزخى ، وبعد خلعه لا يهمها ان يكون جزء من بدن انسان او جسم حيوان ، او لبنة فى بناء او سماد المزرعة، وبماذكرناه تبطل شبهة الاكل والماكول،

وببطلانها يرتفع المانع من العودة .

فالمعاد امر ممكن عقلا ولا مانع للانسان من العودة الى الحياة بعد الموت ، اما الادلة التى تثبت وقوعه قطعاً ، وبان الانسان يجب ان يعود الى الحياة بعد موته فانها أدلة دينية ، لان الدين وحده يتمكن من الجولان فى هذه الميادين ، وقد اجمعت الاديان السماوية كلها بوقوع المعاد ؛ وبان كل انسان مات سيعود الى الحياة بعدما يموت ، ليؤدى حساب عمره ، وليأخذ جزاء اعماله ، من ثواب وعقاب .

اما البرزخ الواقع بين زمن الموت ويوم الحساب ، والذى يسمى بعالم البرزخ فان مايجرى فيه على الانسان من السؤال ولوازمه وملابساته ، مذكورة فى الكتب المفصلة ، وبما ان دراستنا عقلية لذلك نتركها مكتفين بما ذكرناه فى المعاد .

ان اصول الدين الاسلامى تتقوم من هذه المواضيع الثلاث -التوحيد- - النبوة - - المعاد - - وهناك اصلان تختص بهما الشيعة الاماميه ، وهى - العدالة - - والامامة - وانا ندرسهما ايضا تتميما لموضوع البحث ونسأله تعالى ان يوفقنا الى سواء الصراط .

العدل

العدل

العدالة هي المساوات في الحكم على موضوعين متساويين في الجهة التي يطلب فيها الحكم.. ، وفي الشريعة . . هي تنزيه افعال الله عن كل شائبة ونقيصة ، وجعلها موافقة للحكمة والمصلحة .

والعدل . والظلم من الاضداد ، فالعدل هـو السير على الحكمة والمصلحة ، والظلم هو الانحراف عن الحكمة والمصلحة ، ويختلف العدل باختلاف مواضيعه ، فالعدل في الحكم رد عادية الظالم بانصاف المظلوم ، وفي ساير الموارد وضع الشيء في محله ، واستعماله في موضعه ، فمثلا العدل في الالبسة هو استعمالها في اللبس ؛ فاذا استعملت في غيرهـــا كان ظلما لها ، والعدل في الاغذية هو اكلها فاذا استعملت في غيره كان ظلما لها ، والعـــدل في الخير تقديسه . فاذا اهين فقـد ظلم ، وهكذا فـان استعمال الشيء ووضعه في غير محله يكون ظلما لذلك الشيء ، واستعماله في محله هو العدالة المنشودة .

ولما كانت عدالة الله هي تنزيه افعال الله واحكامه عن المعـــايب والشوائب . . ، راح بعض السذج يأخـذ على الله بعض افعـاله واحكامه . وينقدهـا بانها معاكسة للعدل ، وبانهـا ضد الحكمة والمصلحة.. ، فان خلق الشيطان الذي لا يتأتى منه الا الغواية والضلالة ظلم صارخ للانسان . ، وان خلق غريزتي الشهوة والغضب تعذيب للانسانية ، لانهما يصارعان ملكات الانسانية ويحاربانها ، وان خلق الحيوانات المفترسة والسامة

التى لافائـــدة فيهـا للبشرية، ولا يصدر منها الا الضرر والخطر عليها ظلم مبيد . . ، وهناك مخلوقات لله لا يتاتى منها الا الأذى والفساد . ؟ ان خلق هؤلاء المفسدين لا يمت الى العدالة بصلة ابداً . . فالله بموجب هذا الاستعراض ظالم لخلقه . . . . كما وانه ظالم فى احكامه وتشريعاته . . . ، فمشروع الارث واعطاء الذكر ضعف الانثى ظلم للانثى . . . ، وتشريع الصوم المانع من استلذاذ الانسان واستمتاعه بطاقات حياته ظلم للانسان . . . ، وتشريع الحج وتكليف المستطيع الخسارة الباهظة فى ماله وبدنه ظلم للمستطيع . . . ، وفريضة الجهاد والزكوة . . بل وحتى الصلاة لاتحمل للانسان الا العنت والمشقة . . ، ان تشريعاته هذه وغيرها ظلم محض ، فكيف يأخذون العدالة صفة من صفاته الثبوتية وهو الذى كان ظالما لخلقه كما استعرضنا مخلوقاته . . . وظالما فى احكامه كما استعرضنا تشريعاته . . ، فالقول بان الله عادل قول باطل .

ويجاب عنه بجوابين . . جواب اجمالى . . نذكره . . ؟ وجواب تفصيلى نتركه للكتب المطولة التى تستعرض هـــذه الشبهات وتجيب عنها . . . ، اما الجواب الاجمالى . . فان الفاعل المدرك لايفعل شيئاً الا اذا كان له داع وغاية الى الفعل . . ، والداعى الذى يسوق الفاعل المدرك الى الفعل اما ان يكون حاجتـــه الى الفعل . . او يكون جهله بقبح الفعل ، . او يكون الفعل فى نفسه حسناً وجميلاً ، او يكون الفاعل فى مقام العبث واللهو . . ، فاذا انتفت هـــذه الدواعى عن الفعل انتفى وقوع الفعل عن الفاعل المدرك . . ، لان المعلول لا يصدر الا

من العلل الثلاث التى منها العلة الغائية ، فاذا انتفت العلة الغائيه ، انتفى صدور الفعل منه ، وان الواجب جل جلاله . يستحيل ان تكون الدواعى الاربع علة غائية لفعله ، يستحيل ان تكون الحاجة غاية فعله . لانه الغنى بالذات ، وكيف تتصور الحاجة فيمن كان غنيا بذاته ، ويستحيل ان يتطرق الى افعاله ووجوده الجهل . وهو العالم المطلق ، الذى لا يخفى عليه شيء فى السماوات والارض ، وليس فى الظلم جهة جمالية ليصح ان تكون الداعى الى الفعل ، كما وان اللهو والعبث محال على الله الذى يتنزه عن كل باطل . فالدواعى الاربع يمتنع ان تكون الداعى الى الله فى أفعاله ، وباستحالتها يستحيل صدور الظلم منه . فالله عادل لا شك فى عدالته .

ولقد أشار الامام الصادق عليه السلام الى ما يقارب ما ذكرناه ، حينما سئل عن معنى عدالة الله ، فقال (ع) : (واما العدل فهو ان لا تنسب الى خالقك ما لامك عليه الناس) وقد اقتفى الامام (ع) فى مفهوم العدل أثر جده الامام على بن ابى طالب (ع) حينما عرّف التوحيد والعدل بقوله (ع) : (التوحيد أن لا تتوهمه ، والعدل ان لا تتهمه) ، ولا شك بان اللوم لا يكون الا على القبيح ، فالعدل بمفهوم الامام الصادق (ع) ان لا تنسب الى خالقك القبيح ، كما ان التهمة لا تطلق الا على مرتكب القبيح ، فمرتكب القبيح متهم ، فالعدل بمفهوم كلام الامام (ع) هو ان لا تنسب لربك القبيح ، وبذلك يكون حد العدل الالهى هو تنزيه افعاله واحكامه عن القبح ، وذلك هو الحد الذى عرف المتكلمون به العدل الالهى فهو حد منبثق من

اقوال ائمة الهدى عليهم السلام .

وبما ان الاشاعرة تأثروا بالشبهات البدوية التي تخطر على افهام البسطاء من البشر ورأت ما استعرضناه لكم من الافعال والاحكام الالهية ثم ارادت تطبيقه مع مفاهيم العدل في قاموس الانسان فلم ينطبق ، لذلك نفت عن الواجب جل جلاله صفة العدل ، ولما كان نفي صفة العدل عن الله جرأة على مقامه الاقدس ، لذلك راحت تتعثر في طريق هذا الفرض الاهوج ، فراحت تارة تنفي عن الاشياء صفة الحسن والقبيح الذاتي ، فليس في الوجود شيء حسن ، او قبيح بذاته ، وانما الاشياء كلها لا لون ولا طعم لها ، انها استعدادات صرفة تتقبل الحسن والقبح ، فاذا حكمت الشريعة بوجوب اتيانها او باستحباب اتيانها كانت حسنة ، واذا استمر حكمها استمر حسنها ، فاذا تغير حكم الشريعة تغيرت الوجهة التي تلبسها ، فتنقلب قبيحة بعد ما كانت حسنة ، لان حكم الشريعة تغير في حقها ، ولما كان هذا القول منحرفا عن الواقع جدا راحت الارادات والنقود تهدم هذه النظريه وتبيدها من اساسها ، الامر الذي دعا بعض المفكرين من علماء الاشاعرة ان يتداركوا هذا الخطاء البين ، فراح يوجه اقوال سلفه ويعرضها باسلوب كانت وطأتها اخف على الفكر من الاسلوب الاول ، ان هذا البعض اعترف بالحسن والقبح الذاتيين للاشياء وبان ذلك مما يدركهما العقل ، فالعدل حسن في ذاته ، والظلم قبيح في ذاته ، والعقل يدرك ما هما عليه من الحسن والقبح ، الا ان الاشاعرة تعطل حكومة العقل ، فليس للعقل ان يحكم بالوجوب

بمجرد انه ادرك مصلحة هذا الموضوع ، وليس له ان يحكم بالحرمة بمجرد انه ادرك مفسدة ذاك الموضوع ، ان العقل يدرك الاشياء وما هي عليه من الحسن والقبح الذاتيين اما الحكم فهو للشريعة فقط ، لانه لو سوغنا للعقل التشريع والحكم لاستغنى الانسان بعقله عن الانبياء وشرايعهم السماويه، وبما ان الانسانية لا تستغنى عن الانبياء بتاتا لذلك منعنا اعطاء العقل سمة الحكم والتشريع ، فليس له ان يحكم على شيء بالوجوب او الحرمة بمجرد انه ادرك ما هو عليه من الحسن او القبح .

والجواب عن شبهة الاشاعرة يكون من وجوه، اولا ان العقل لا يدرك مساوىء محاسن كل الاشياء وانما يدرك بعض الحكم الواضحة والتي فيها بالطبع لا يتمكن ان يقول بانه ادرك كلما كان في الشيء من الحسن والقبح ، انه ان ادرك جانبا منه خفيت عنه جوانب تحتاج الى الابانة والظهور ، ولا يمكن الحكم على الموضوع الا بعد ادراك كل جهات الموضوع وجوانبه وما فيها من الحسن والقبح ، وهب انه ادرك محاسن طائفة من المواضيع ؛ ادرك كل محاسنها بحيث امكنه ان يحكم على الموضوع بوجوب اتيانه او بحرمة اتيانه ، الا ان ما يدركه العقل من المواضيع لا يساوي جانبا صغيرا من مواضيع حياته وموارده .

وثانيا : ان ادراك العقل جميع محاسن الشيء ومساويه بحيث سوغ له ان يحكم عليه بالوجوب او الحرمة لا ينافي تأييد الشريعة له ، بل يكون تأييد الشريعة لحكم العقل موجبا لارتفاع ترديد العقل وتأكيد ما وصل اليه من محاسن ذلك الشيء، لان الانسان مهما دق

فهمه واتسع فكره اذا لم يكن اخصائيافى ذلك الموضوع يبقى فى ارتباك عما وصل اليه لانه يحتمل خفاء نواحى اخرى عنه ، لذلك يبقى فى تردد من حكمه على الموضوع الذى تفهمه ، فاذا أكدته الشريعة ارتفع تردده واطمأن بصحة حكمه ، ان مثال الحكم العقلى وتأكيد الشريعة له مثال الانسان الذى أدرك ان العقار كذا يرفع الالم المعلوم ، لكنه يبقى فى تردد من حكمه حتى يؤيده اخصائى بهذا العقار، فعنذاك يرتفع تردده وارتباكه بما وصل اليه ادراكه ، وهكذا الشريعة اذا ايدت العقل فانه يرتفع ترديده ويؤمن بما ادركه .

وثالثا : يلزم من تجميد احكام العقل امور باطلة ، منها يلزم منه انتفاء وجوب ارسال الانبياء على الله ، وبعبارة علمية ، يلزم منه الغاء قاعدة اللطف التى تقوم عليها النبوات العامة ، فاننا انما اوجبنا على الله ارسال الانبياء لقاعدة اللطف ، فاذا سقطت سقط موضوع النبوات ، وتعطلت الشرائع السماوية ، وبقيت البلبلة الاجتماعية والفردية فى النوع الانسانى كما تقرر ذلك فى بحثنا عن موضوع النبوة .

ومنها تعطيل الاحكام العقلية العامة التى سار عليها الانسان ، وطبقها على حياته منذ وجوده ، كوجوب حفظ النفس من الاخطار ، وكحرمة القاء النفس فى التهلكة ، وكالاحكام الاجتماعية التى يصدرها العقل ، كمساعدة العاجز من البشر ، وكالدفاع عن حدود الحق فى المجتمع ، وكالاستجابة لداعى الضمير والوجدان ، ان هذه الاحكام كلها عقلية محضة ، بحيث ان الاحكام التى تأتى بها الشريعة فى مثل هذه المواضيع

تكون احكامها ارشادية لحكم العقل ، فاذا تعطل حكم العقل تجمدت القضايا الانسانية ، وتعطل عمل الضمير والوجدان تماما .

ومنها تعطيل معرفة الله لانها حسب الفرضية يتوقف وجوبها على الحكم الشرعي والحكم الشرعي يتوقف وجوده على وجوب المعرفة بحكم العقل ، فاذا تعطلت الاحكام العقلية ، وارتفع وجوب المعرفة انهار كيان الشريعة ، لانها تتوقف على المعرفة . المتوقفة على الحكم العقلي .

هذه نبذ مختصرة اخذتها على الاشاعرة ، اكتفيت بها ، لانني في مقام الاجمال والاختصار ومن اراد التفصيل فليراجع المطولات .

الامامة

بيني وبينه

هل الامامة موضوع الهي ، أو موضوع انساني اجتماعي ؟ ؟ قالت الشيعة وطائفة من السنة بالاول ، وقالت اكثر طوائف السنة بالثاني، ولكي ينكشف لنا ابهام الموضوع نعرض على البحث أشعة الفكر ، لنسير على ضوئها الى الهدف المنشود . ان الفريقين يقولان بوجوب وجود الامام .

لماذا ؟

لكي يلم شتات المسلمين ، ويحل مشاكلهم ، ويسير بمواكبهم الى الغرض الذي يطلبه الاسلام ، فالامام قائد المسلمين الى الهدف الذي لاجله وجد الاسلام .

فهل يمكن ان يسير بهم انسان يختاره انسان آخر .

أعتقد باننا لو درسنا سبب وجوب النبوة ، لرأينا السبب نفسه يوجب الامامة ، فالنبوة والامامة معلولان لعلة واحدة ، وكما تأبى علة النبوة ان يكون ايجادها بوسيلة الانسان ، لقصور طاقات الانسان عن ايجادها ، كذلك تأبى العلة نفسها أن يكون ايجاد الامامة بوسيلة الانسان ، لقصور طاقات الانسان عن ايجادها .

فالعلة في الموضوعين واحدة ، وبوحدة العلة يتحد المعلول .

ولماذا لا تتعدد العلة في الموضوعين ، ليكـــون كل موضوع موجودا بعلة مستقلة عن الآخر فتكون النبوة موضوعا سماويا الهيا ،

وتكون الامامة موضوعا ارضيا انسانيا ؟ ؟

لان الطاقات الارضية قاصرة عن ذلك ، اذ الامامة ليست الا امتدادا لموضوع النبوة نفسه، فالامام لا يعمل الا ما كان يعمله النبي بنفسه ، ان الامام يتمم العمل الذى قام به النبي ،ولولا وجود الامام لانقطعت النبوة بموت النبي ، وبما ان الاسلام دين خالد لا نهاية له ، وبما ان مشاكل الزمن وحاجيات الحياة لا تستقر على مرفأ معلوم ، لان الحياة تموج بالمشاكل والعقد ، وان الانسان وهو يعيش فى هذه الحياة المعقدة ليحتاج الى من يحل مشاكل عقده . لذلك كان وجود الامامة امتدادا لوجود النبوة نفسها ، فبالنبوة تبدء الحياة حياة الانسان فى واقعه ، وبالامامة تمتد تلك الحياة الى ما لا نهاية .

ولماذا لا يكون القرآن ولا تكون السنة هى الحياة الخالدة للاسلام؟ ولماذا لا يكون الامام الا حافظا لهما وناشرا لأشعة القرآن واضواء السنة كما هو الواقع كذلك ؟ ؟ لانى لا اعتقد بان فى المسلمين من يقول بان الامام مشرع يأتى باحكام جديدة تقابل احكام القرآن والسنة ، بل ان المسلمين اجمع يطبقون بان الامام ليس الا مبلغا لاحكام القرآن والسنة ، والاحكام موجودة فى القرآن الخالد وفى السنة الباقية

نعم الامر كما يقول السائل ، ليس الامام الا صدى يردد نداء القرآن والسنة ، ولكن هل يمكن لكل انسان ينتخبه انسان آخر ان يكون ذلك الصدى الرداد ، ان القرآن ليس الا مجملات تحتاج الى التفصيل ، ومبهمات تحتاج الى الكشف والظهور ، ومطلقات قيدتها الاحاديث الواردة عن النبي ، وعمومات خصصتها السنة الصحيحة، ان تفهم القرآن ناسخه

ومنسوخه ، عامه وخاصه ، مطلقه ومقيده ، ليس من عمل كل انسان ، ان تفهم ذلك يتوقف على امتلاك طاقة تكشف ظلمات المعانى وطلمات الغايات المنشودة القران ؛ وظلمات السياسة ، وظلمات الاطماع ، ان القران شمس اكتنفته ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض نشرتها الاطماع . والجهالة . فمن الذى يتمكن على فتح كوة فى هذه الظلمات الكثيفة لينفذ منها الى الوعى شعاع القران . ان هذا الفتح اصعب من فتح مسالك الجو الاقمار الطائرة الى المريخ ، ان فتح تلك المسالك يستحصل بدراسة الجو . وضبط المسافات بالارقام والخطوط الهندسية . اما فتح التاريخ المجهول . التاريخ الذى اذعنت سادة التاريخ وقادته بعجزها عن فتحه ، فرجالات الاسلام ، حاشا الامام على بن ابى طالب (ع) اذعنوا بعدم استيعاب وعيهم فهم مقاصد القران وحقايقه ، ان كل واحد منهم كان يدعى بانه يعلم طرفا من القران ، فالقران كنز مرصود لم تكتشفه هؤلاء الهواة ، كما ان السنة ايضا كنز ضيعت آثاره الاطماع والشهوات ، فقد أثر عن اولئك الافذاذ انهم منعوا اصحاب النبي من نشر محفوظاتهم من الاحاديث ، لاختلافهم فى ضبط نصوصها ، ولاختلافهم فى فهم معانى تلك النصوص ، فاذا كانت قادة التاريخ الاسلامى تعترف بقصورها عن وعى القران والسنة ، فكيف تريد ان تجعلهما مرشدين للقوافل التائهة فى العصور المظلمة التى ابتعدت عن تأريخ عصر القران بثلاثة عشر قرنا . . اعتقد بان هذا القول ابعد من العقل عن فهم غوامض الجو وما فيه من الاشتبكات والارتباكات ، واذا تعطل القران والسنة عن القيادة .

تعطل القول بان الامامة من صنع الانسان لا من صنع الله ، لان الانسان انما يرتكز فى قيادته على طاقاتهما ، فاذا عجز الانسان عن الاستفادة من طاقاتها ؛ ضاعت قيادته ، فالامامة موضوع الهى يتصل بموضوع النبوة مباشرة ، لان الامامة ليست الا امتدادا للحياة التى بعثتها النبوة فى الانسانية ، وكما احتاجت الانسانية فى حياتها الجديدة الى النبوة ، تحتاج ايضا لامتداد تلك الحياة الى الامامة .

فان قيل لى : انك جمدت الكتاب والسنة فهما لا يفيدان المسلم ؛ وجمدت الامام فهو لا يتمكن على تشريع جديد ، واذا تجمدا تجمدت الطاقات الاسلامية ، وبقيت المشاكل تلعب دورها بالمسلمين .

اجيبه بان القران والامام يشكلان بيتا واحدا يتمم احدهما الاخر ، فالقران لا تفتح مغاليقه الا ببيان الامام ، والامام لا يعرض علينا الا مفاهيم القران ، كما ان السنة النبوية ليست الا تفصيلا لجملات الاحكام القرانية ، فهى ايضـــا تفسير للقران وما فية من نظم وعقايد . ومعارف وآداب ، وان تنسيق السنة وتهذيبها من المفتريات التى ادخلها الوضاعون فيها ، او تشذيبها عما زاد او نقص منهـا بوسيلة الرواة الذين كانوا يجهلون مراد النبي (ص) منهـا ، ففهموا منها ما لم يرده النبي (ص) او بوسيلة اصحاب النيات السيئة الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، وان تفسير القران وتهذيب السنـــة لا يتحققان الا بوسيلة الامام الذى يستعمل طاقاته الالهية فى التشذيب والتهذيب والبيان والتفسير ، ان الشريعة الاسلامية القائمة على الكتاب والسنة لا تدرك الا بوسيلة الامام (ع) الذى وعاها بطاقاتة الالهية ،

ولولا تلك الطاقات لكان الامام كغيره من المسلمين يفسر الشريعة برأيه وذوقه . من دون ان يدرك المقصد الواقعي للشريعة في اسلوب الاية او بيان الحديث .

كما وان المسلمين في بدء التاريخ الاسلامي اختلفوا في عرض الايات القرانية ، كما اختلفوا في عرض الاحاديث النبوية ، ولذلك رأينا رجالات الحكم الاسلامي في ذلك التاريخ يمنعون المسلمين من نقل الاحاديث ونشرها في الاندية والجامع ، كما انهم جاهدوا في ضبط الايات القرانية وتسجيلها بصيغة موحدة القراءة والكتابة . واعدام ماخالف ضبطهم في العبارة والاسلوب ، ولقد كان عملهم موفقا جدا ، لانهم كبحوا به تيار الأهواء الذي ثار يتلاعب بمفاهيم القران ومبانيه ، وهب ان عملهم كان من وحي الغرض الشخصي . ولكن نفس العمل لو درس دراسة شخصية لرأيناه من اهم ما كان يلزم القيام به في ذلك العهد ، وقد نجحت عملية القران وانحبست الاصوات التي كانت ترتفع بقرآت متخالفة الايات والكلمات والجمل ، ولكن عملية منع السنة لم تنجح الا موقتا ، فقد عاد رجالات الحديث من اصحاب النبي (ص) ينقلون الاحاديث في المجالس والمجامع بعد ما مات الحاكم الذي حال بينهم وبين نشر شخصياتهم بنشر احاديث النبي (ص) وبارتفاع المانع راحوا يواجهون المجتمع الاسلامي بعلمهم المخزون وقولهم قال النبي (ص) وكان المسلمون يستقبلون احاديثهم بكل حفاوة واحتفال . الامر الذي استغلته السياسة الحاكمة واتخذت منه منذياعا لنشر برامجها السياسية في طي نشر الاحاديث النبوية . وبالطبع

كانت افاق الحديث اضيق من احلام الساسة ، ففتحت على رجالات الحديث باب الوضع والجعل ، وبذلك انتشرت الاحاديث المكذوبة المنسوبة الى النبي (ص) ، حيث راحت تنشر ما تريد من الاحكام ، وترفع وتضع من تشاء من رجالات الاسلام . وان نظرة واحدة اسيرة معاوية بن ابي سفيان الذي لم يتردد التاريخ الاسلامي قبل تمكنه من منصة الخلافه الاسلامية ، لم يتردد التاريخ انذاك من اليقين بعـــدم صلاحيته وصلاحية بيته للحكم في الاسلام ، لكثرة ما ورد في حقه وفي حق بيته وفي حق محيطه الخاص من الاحاديث ومن القصص ومن المشاهدات ، ولكن معاوية بعد ما اهلته الولاية على الشام للخلافة على المسلمين راح يبذل الاموال الطائلة لابتداع الاحاديث التي ترفع من بيته في الاسلام وتضع من بيت علي (ع) (وهو بيت النبي ص) الامر الذي لم تتردد الشام في بيعته بالخلافة حينما ادعاها بعد مقتل عثمان بن عفان ومطالبته بدمه ، نابذا بيعة امير المؤمنين علي (ع) ان بيعة الشام لم تكن وليدة ذلك الظرف وانما هي نتيجة الجهود الكثيرة التي بذلها معاوية منذ ولاية اخيه يزيد ابن ابي سفيان لتنزيه بيته من الوصمات العالقة به ، ثم توجيهه وتحسينه بالفضائل الرافعة من شأنه ، لكي تليق به القيادة ، بل ربما تختص به دون غــيره القيادة ، وكان في مقدمة تلك الجهود ، بل ربما كان الجزء الاخير للعلة التامة للقيادة الاحاديث التي نشرها الوضاعون عن لسان النبي (ص) في فضل معاوية وبيته ، حتى اصبح علماء الحديث يتريبون من كل حديث يرد عن النبي (ص) : وحتى اخترعوا لتنزيه الحديث

وتنقيته من المجهولات علم الدراية وعلم الرجال ، ومع ذلك لم تسلم الاحاديث من الوضع والحذف والزيادة ، وبذلك ضاعت السنة ، عند اهل السنة بينما بقيت محفوظة عند الشيعة لانهم يأخذونها من الائمة الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

والائمة بدورهم كانوا يعرفون الاحاديث الصحيحة ويميزونها من الموضوعات والمجهولات، يعرفونها لا بالدراسة المتعارفة بل كانت معرفتهم نتيجة الطاقات الالهية التى كانت تكشف الصحيح من المزيف ، والاصيل من المنحول ؛ فالامام كان يعرف النبي وحقايقه واسراره ويعرف احاديثه واخباره ، فلا تضيع عليه بادرة ولا تخفى عليه خافية ، بل ينظر النبي وعالمه بنور الله الذى لا يخفى عليه شيء فى السماوات ولا فى الارض ، وهكذا حفظت الشيعة السنة من مصدرها الصحيح ، واضاعتها السنة لانها تركت ذلك المصدر واتبعت غيره من المصادر ، وبالطبع من لم يسر الى الفرض على الصراط الصحيح لم يصل اليه .

والقران وان ضبط نفسه بسبكه واسلوبه ، ولكنه بقى على اجماله واختصاره ، فهو يحتاج الى مدرسة خاصة والى اساتذة خبيرين بالقران ولا توجد تلك المدرسة ولا اولئك الاساتذة الا عند ائمة الشيعة ، الذين كانوا يستمدون معارفهم من السماء لا من الارض ، وبذلك وصلوا الى واقع القران وحقائقه الخفية ، فهم المفسرون لآياته ، والكاشفون عن اسراره ، والسائرون على اثاره ، والعارفون بموارده ومسالكه ، فالقران فى الحقيقة لا يعرفه الا الامام ، كما ان السنة فى واقعها

لايعرفها غيره ، ومعنى ذلك ان الاسلام الصحيح عند الامام لا عند غيره .

هب ان الامام هوالحافظ للشريعة الاسلامية ، فلماذا تحصرون الامامة بالامام على بن ابى طالب (ع) بعد موت النبى (ص) بينما هناك رجالات لهم مكانتهم المرموقة فى محضر النبى (ص) وفى الجهاد الاسلامى ، فهل لعلى بن ابى طالب من الخصائص التى تحصر الخلافة والقيادة به (ع) دون غيره من اصحاب النبى (ص)وهل ورد فى على عن النبى ما يحصر الخلافة به دون غيره من رجالات الاسلام وصحابة محمد (ص) .

اننا انما نحصرالامامة بعلى (ع) لانه حاز على امتيازات شخصية لم يحزها غيره ، فهو ابن عم النبى (ص) وهو اول من آمن به ، وهو خريج تربية النبى (ص) دون غيره ، وهو بطل الغزوات الاسلامية ، واشجع من عرفته الفتوحات النبوية ، وهو صهر النبى ووالد سبطيه وهو وهو الى عشرات من مئات من الخصائص الشخصية التى تميز الامام عليا (ع) عن غيره من الاصحاب ، ولقد وردت فى حقه عن النبى (ص) احاديث صحيحة ترويها رجالات الحديث من علماء السنة كما تواترت روايتها عن الشيعة ، منها حديث الغدير الذى يرويه الفريقان بما لا يتقبل الشك والترديد ، والذى ينص صريحا بامامة على (ع) وقيادته للمسلمين بعد النبى صلى الله عليه واله فان قوله (ص) (من كنت مولاه فعلى مولاه) بعد اخذه الاقرار والاعتراف من المسلمين بقوله (ص) : (الست اولى بالمؤمنين من

أنفسهم ؟ فقالوا اللهم بلى) ان هذه الولاية التى كانت له والتى يسبغها على على (ع) ليست الا تلك الاولوية من انفس المؤمنين ، ومعنى الاولوية فى المقام هى اندكاك مصلحة الفرد المسلم فى مصلحة النبى ، جريا على منهج القيادة العامة التى تندك فيها مصلحة الجندى فى مصلحة القائد ، فالموقف موقف قيادة النبى (ص) للمؤمنين ، ومحاولة جعلها لعلى (ع) بهذا الاسلوب الرائع ، ولا شك بان الاولوية او القيادة انما كانت فى الشريعة الاسلامية واخذها من النبى (ص) كقاعدة ثابتة لا تقبل الشك والترديد ، ولذلك صار على (ع) بموجب هذا النص قائد الغر المحجلين وامير المؤمنين وامام المسلمين .

ومنها حديث المنزلة المروى باساليب مختلفة ، واسانيد متعددة مصححة عند علماء الحديث ، محل الشاهد منه قول النبى (ص) (انت منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبى بعدى) ولا شك بان منزلة هارون من موسى كانت منزلة قيادية فلها دون قيادة بنى أسرائيل اذا غاب عنهم موسى ؟ وبموجب هذا التنزيل يكون على (ع) قائد المؤمنين وامام المسلمين اذا غاب عنهم النبى (ص) .

وهناك احاديث صحيحة مروية عن النبى (ص) كقوله لعلى (ع) : (انت ولى كل مؤمن من بعدى) بعد قوله (ص) فى الحديث نفسه : (ان عليا منى وانا منه) والحديث مخرج باسانيد مختلفة صححتها كتب الصحاح والمسانيد ، ان هذه الاحاديث وغيرها والتى اختص بها على (ع) دون غيره من صحابة النبى (ص) لتعد شهادة رائعة جامعة فى حق امامة على وولايته وقيادته للمؤمنين .

ان بناء على ما ذكرت واستعرضت يكون عمل السلف المتبع باطلا منحرفا عن الحق لانه ترك عليا . واتبع غيره من اصحاب النبي (ص) .

نعم كان انحرافا عن المنهج الصحيح انحرافا واضحا لا يتقبل الشك ، لان امامة علي (ع) وخاصة بعد يوم الغدير كانت من الوضوح بحيث انه كان كل مسلم يدري بان عليا (ع) بعد النبي (ص) امام المسلمين ، ولكن الحزب المخالف لقيادة علي (ع) والذي كان يريد ان يستفيد من جهاده . وصحبته مع النبي (ص) راح يعمل بكل شدة وحدة ليغير مجرى التيار ، وقد نجح في فعاليته واستلم القيادة بعد موت رسول الله (ص) بانقلاب ، وضمن استغل انشغال علي (ع) بتجهيز النبي (ص) . وعدم تأهبه لهذا اليوم بايجاد جماعة تقف في وجه الحوادث المفاجئة ، الامر الذي نجح الانقلاب بالرغم من ضآلته . فاستلم الحزب القيادة ، وترك المسلمون القائد الاصيل منزويا في بيته يجمع كتاب الله ، لان في ضياعه ضياع الاسلام وقوانينه السماوية ، ويحل مشاكل المجتمع الاسلامي بطاقاته الالهية القيادية . دون ان يتعرض الحزب وحكومته ؛ لان اعتراضه عليه انذاك كان بمثابة حرب داخلية يثيرها الامام في المجتمع الأسلامي ، فتتمزق الوحدة الاسلامية ، ويتغير نظر الفرد المسلم بالاسلام وقيادته فالحزب بعد تمكنه من الحكم ما كان ليتنازل عنه ولو انهار الاسلام وكيانه العقيدي ، كما انه ما كان ليرضى بان يشاركه علي (ع) في القيادة ، لان عليا كان اقوى منه شخصية ، وارسخ قدما في الجهاد

الاسلامى ،واوسع اطلاعا بالاسلام وقوانينه ، ولذلك لو انتفض على (ع) عليه وعارضه فى انتخاب القائد لقابل عليا بل ولقاتله الى ان يزيل عقبته عن طريقه ، ولذلك كله ولغير ذلك من الحكم والمصالح استسلم على (ع) للامر الواقع فساير الموج وبايع القيادة وانصهر فى المحيط الجديد مكتفيا بحل مشاكل المجتمع الاسلامى من وراء ستار ، دون ان يتظاهر بذلك ، لان ابتعاده عن المشاكل كان يدفع المجتمع المسلم الى التصدع والانهيار ، وتظاهره بالقيادة كان يدفع حياته الى الخطر الداهم ، فلذا اكتفى بحل عقد المجتمع ودفع الشبهات عن الحقايق الاسلامية وهو منصهر فى المجتمع كفرد عادى لا ميزة له عن غيره ، وبذلك هدأ الجو الاسلامى واستقر الموج وسارت سفينة احلام الاسلام تخترق عباب التاريخ فى سلامة واطمينان .

لامناص لى من الايمان بامامة على(ع) لما تقدمت به من البراهين الواضحة والادلة القاطعة ، ولكن كيف السبيل الى الايمان بامامة غيره من ائمة أهل البيت . الذين اتخذتهم الشيعة الامامية قدوة دينية تاخذ منهم عقيدتها ونظامها ، كحقايق واقعية لا يتطرق اليها الشك والارتياب .

لما ثبتت امامة على (ع بما قدمناه من الأدلة . وانحصرت به عليه السلام دون غيره من رجالات الاسلام صارت مكانته من القيادة مكانة النبى (ص) منها ، فكما ان القيادة بعده لم تثبت لاحد من المسلمين الا بتعيين خاص من النبى (ص) ، كذلك تنحصر القيادة بعد موت على (ع) بالذى نص على قيادته على (ع) دون غيره

من المسلمين ، ومن الضروريات الواضحة عند الشيعه و تاريخهم العقايدى ان عليا (ع) نص على ولده الحسن كما نص على ولده الحسين عليهما السلام بعده ، بل ان هناك نصوصا صريحة وردت عن النبى (ص) تحصر القيادة بهما بعد ابيهما ، كقوله (ص) ﴿ ولداى هذان امامان قاما أو قعدا ﴾ والترتيب بالتقدم والتاخر كان بنص من امير المؤمنين (ع) ومن الامام الحسن (ع) ، كما ان الحسين نص على امامة الامام زين العابدين على (ع) ، ونص هو بدوره على امامة الامام الباقر (ع) ونص هذا على امامة الامام الصادق (ع) وهو بدوره نص على امامة الامام الكاظم (ع) وانتقلت بعده بنص منه الى ولده الامام الرضا عليه السلام ومنه انتقلت بنص منه الى الامام الجواد (ع) ونص هو على امامة الامام الهادى (ع) وصرح هو بامامة الامام العسكرى عليه السلام ، وانتقلت بعده بتصريح خاص منه على امامة الامام المنتظر عجل الله فرجه ، ان اختصاص هؤلاء الائمة عليهم السلام بالقيادة انما كان بنص السابق منهم على اللاحق ولا يمكن ان تتجاوز الامامة غير الامام المنصوص ، لان العصمة من شرايط الامامة وهى لا تعرف الا من الامام المعصوم ، ولذلك صار النص هو الحجر الاساسى لكيان الامامة واصبحت امامة هؤلاء من الضرورة الدينية التى لا يختلف فيها اثنان من الامامية .

ان الامامه تنحصر فى هؤلاء الائمة من اهل البيت ، وأهل البيت هم الذين انزل الله فى حقهم بقرآنه العظيم : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) والذين قال فى حقهم

النبي (ص) : (الا ان مثل اهل بيتي كسفينة نوح . من ركبها نجا . ومن تخلف عنها غرق) والذين قرنهم النبي (ص) بالقران في القيادة والهداية ، فقال (ص) : ﴿ اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما . . ﴾ والقيادة لن تظهر الا بهما كما درسناه ، فالكتاب لا يفهم الا بالامام والامام لا يستحق الامامة الا ببيان الكتاب ونظمه وعقايده . ، فهما مرتبطان ارتباط المبتدا بالخبر لا يفهم هذا بدون ذلك ، ولا فائدة في ذاك الا بهذا ، وقيادتهما دائمية ، بنص الحديث النبوي المتقدم (حتى يردا على الحوض) وتعيين الائمة الذين تقدمت اسماؤهم انما حصل من اهل البيت عليهم السلام .

اذا انحصرت الائمة بهؤلاء ، وانقطعت بعد الامام الغايب ، فانه ينقطع حبل الاسلام وينتهي عهده لانقطاع الامامة بالامام الغائب مع ان الاسلام هو الدين الخالد الذي نهايته نهاية تاريخ البشر . ، ولو صح ان يبقى الاسلام ويموت قائده لماذا لم تصححوا ذلك في موت النبي (ص) ، بل اثبتم باحتياج حياة الاسلام الى الامام امامة علي (ع) ، فكيف تريدون بقاء الاسلام مع انتهاء القيادة بالامام الغايب .

والامام الغايب نفسه حلقة مفقودة لا يمكن العلم العثور عليها فكيف تنحل هذه المشكلة التي تنشطر الى سؤالين .

الاول ـ كيف تنحصر الامامة بهؤلاء الائمة ولا تنتهي الشريعة

بانتهائهم .

الثانى - كيف نتفهم الامام الثانى عشر ونتقبل اسطورته المستغربة

والجواب عن السؤال الاول ان الامامة تنحصر بهؤلاء ، وان لهم دورا اساسيا فى التاريخ الانسانى تثبته النصوص الواردة عن النبى (ص) وعنهم عليهم السلام ، وبما انهم مخلوقات انسانية تمتاز عن ساير البشر بطاقات الهية خارقة يجوز فى حقهم القيام بكل ماتراه العادة بحسب قوانينها الجارية ممتنعا ، وان لم يمتنع ذلك عند العقل ، كموضوع الرجعة وكغيرها من المواضيع التى تحتاج دراستها الى مجال اوسع من ظروف كتابى الضيقة . ، فهم أئمة الانسانية لانهم حازوا على طاقات خارقه يصبح المستحيل بوسيلتها ممكنا عندهم ، ولا مانع من ذلك عقلا ، لخروج موضوعهم عن المستحيلات العقليـة ، فموضوعهم ممكن عقلى ، وان كان مستحيلا بحسب العادة الجارية . ، انهم بشر فى اوضاعهم وهيا كلهم ، ولكنهم يفارقون البشر فى طاقاتهم وملكاتهم ولذلك كانت المستحيلات العادية ممكنة الصدور منهم ، انهم والانبياء عباد اصطفاهم الله لقيادة الانسانية الى الغاية التى لاجلهـــا خلق الله الانسان ، والقيادة تحتاج الى طاقة أقوى من طاقات الجيش ، وقيادتهم حازت على طاقاتهم التى دانت لها الامم والاجيال .

واما مشكلة الامام الثانى عشر فهى من فروع السؤال الاول وجوابها يفهم من جوابه ، وقد تعرضت لدراستها فى كتابى (مشكلة الامام الغائب وحلها) ، فليراجع .

آمنت بأنهم أئمة الاسلام . وقادة المسلمين . ، ولكن مافائدة تلك الامامة

وهذه القيادة . اذا لم يكن لها اثر خارجي ، ان القيادة كانت لغيرهم ، وكان اولئك الائمة حكمهم حكم غيرهم من المسلمين اتباعاً للقادة الخلفاء . . ، فما فائدة طاقاتهم القيادية وهي متجمدة لا تندفع ولا ترفع ولا تضع .

ان القيادة الظاهريه لا تؤثر بقيادتهم المعنوية ، انهم اصحاب الطاقات والتصرفات في النظام الطبيعي المعتاد ، وهم الذين بيدهم مفاتيح مغاليق الآيات والاحاديث ، وعندهم العلم الذي يحتاجه الاسلام كعقيدة وكنظام ، فاذا هوجم الاسلام من اعدائه . هوجمت مفاهيم سنته ، وهوجمت مقاصد قرانه ، فانهم كانوا يقفون في وجه الهجوم ويردون كيده الى نحره ، ويذبون عن حدود الاسلام ومفاهيمه كما وان الاسلام اذا احتاج الى خرق النظام الطبيعي بالمعجزة والكرامة فانهم كانوا يقومون بذلك ويتصرفون بالقوى الطبيعية ، ان قيادتهم الحقيقية ، والتي هي القيادة بمعناها الصحيح لازالت لهم وبيدهم . لا يمكن ان يسلبها منهم احد ، لانها غير قابلة للسلب ، اما القيادة الظاهرية . والخلافة الصوريه . التي تحوم عليها المطامع والاهواء ، فانها كانت لا تهمهم ، ولا يؤثر وجودها ولا عدمها في اقدارهم ومقاماتهم المعنوية ، ان تلك الزعامة الدنيوية التي تصارع عليها ابناء الشهوات والمطامع الزائلة . ان تلك الزعامة اذا لم تكن تستخدم في سبيل الزعامة المعنويه . ولم تتخذ وسيلة لغاياتها المقدسة . فأنها تكون اجنبية عنهم بعيدة عن وسائلهم وغاياتهم ، ولذلك رايناهم ينبذونها ، ولو كانت تلك الزعامة داخلة في صميم رسالتهم الانسانية لكانوا اقدر الناس على امتلاكها ، لحيازتهم على القوى والطاقات التي تمكنهم من الاستيلاء

عليها ، والى هذا المعنى اشار الامام امير المؤمنين على (ع) : « ان خلافتكم هذه اهون عندى من عفطة عنز الا ان اقيم بها حقا اوادحض باطلا » فالخلافة الظاهرية لايريدونها الا وسيله لخلافتهم الالهية المعنوية ، ولذلك لو تباعدت الظاهرية عن طريق المعنوية ، لاصبحت قشراً فارغا لايستحق الا النبذ والسحق ، والخلافة المعنوية لهم ، وطاقاتها عندهم وكانوا يستخدمونها متى احتاج الاسلام الى خدمتها ولذلك كنا نرى ائمتنا من الامام الاول الى الامام الغايب عليهم السلام كانوا يوجهون القوافل التائهة ، ويدافعون عن حدود الاسلام وحقوقه ، وينيرون المسالك للتائهين من المسلمين وان الامام الغائب (ع) وهو فى غيبته ليقوم بما كان يقوم به اباؤه الكرام واجداده العظام عليهم الاف الصلاة والسلام

واما شروط الامامة فهى شروط النبوة ، فالامام نبى من حيث طاقاته الا شرط واحد وهو نزول الوحى فانه كان من مخصصات النبي صلى الله عليه وآله وقد الممنا بذلك فى كتابنا مشكلة الامام الغايب فليراجع

هذه نهاية سيرنا فى دراستنا لاصول الدين الاسلامى ، نسأل الله بان يتقبل ذلك منا ، ويجعله لنا نوراً ننتفع يوم لاينفع فيه مال ولا بنون الامن اتى الله بقلب سليم والحمد له اولا واخيراً .

فى يوم ٢٦ صفر المظفر ١٣٨٢ النجف الاشرف محمد جمال الدين الهاشمى

فهرس الكتاب

الصفحه الموضوع